الباب الثانى

الأوامر الإلهية

بالدعاء وآراء العلماء فيها

يشتمل على ستة أقسام سنوردها فى ستة فصول هى:

١ - الأمر بالدعاء صراحة..

٢- الأمر بالدعاء ضمنا..

٣- الأمر بالدعاء فى صورة التهكم..

٤- الأمر بالدعاء فى سياق مايجب توفره فيه..

٥- الأمر بالدعاء بأسمائه الحسنى.. من شروط..

٦- الأمر بالدعاء فى أجمل صوره وأرقاها..

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الأمر بالدعاء صراحة

يشير الى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1]. يرى فريق من العلماء أن الدعاء في هذه الآيه الكريمة يحمل معنى «العبادة» مستدلين بحديث رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

ولقد ذهب أكثر المفسِّرين الى هذا المعنى وهو «واعدونى والمبدونى» ومنهم الجمل فى تفسيره حيث قال: «أطلق الدعاء وأريد به العبادة مجازاً لتضمن العبادة له، لأن الدعاء عبادة خاصة أُريد بها، فى الآية مطلق العبادة وذلك بقرينة مابعدها وهو قوله تعالى: «إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم دآخرين».

ويعضد هذا الرأى مارواه ابن جرير الطبرى[3] فى تفسيره عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عبادتى دعائى» ثم تلا هذه الآية «وقال ربكم ادعونى استجب لكم.. وعن ثابت رضى الله عنه قال: قلت لأنس: يا أبا حمزة، أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها.. ووافقه السدى فيما ينقله الينا الطبرى فى تفسيره لهذه الآية «إن الذين يستكبرون عن عبادتى» قال: عن دعائى.

(١) غافر: ٦٠.

(٢) رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم فى المستدرك عن النعمان بن بشير، ورواه أبو يعلى فى مسنده عن البراء/ صحيح.

(٣) ابن جرير الطبرى: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٥ - ٣١٠هـ)، كان عالما بالعبادات جامعًا للعلوم، أو كما يقولون كان دائرة معارف حية لفروع الثقافة الإسلامية واشتهر بكتابية، الأول تفيره الكبير الذى اسماه «جامع البيان عن تفسير أى القرآن»، والثانى فى التاريخ «تاريخ الأمم والملوك». روى أنه حين شرع فى تأليف كتبه قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثة ألف ورقة، فقالوا: هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه. فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة. ثم قال تنشطون لقراءة التاريخ؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير فأجابوا بمثل ذلك، فقال: أنا لله ما تتت الهم فاختصره فى نحو مما اختصر التفسير. قال عنه أحد السلف «أنه يصف أحد مثله» وذكره أحد العلماء فى عصره فقال «نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم أديم لأرض أعلم من ابن جرير» واستقر ببغداد حتى مات.

ويقول ابن عربى[1]: شارحا حديث رسول الله ﷺ «الدعاء مخ العبادة»[2]، ومخ الشيء خالصه، والدعاء هو العبادة الخالصة، وبالمخ تكون القوة للأعضاء، كذلك الدعاء فى العبادة.. به تقوى عبادة العابدين، فإنه روح العبادة»[3]

ويستدل على ذلك بأمرين:

الدعاء فيه امتثال لأمره تعالى ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

الدعاء يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب وقدرته وعلمه، كما يتضمن اعتراف العبد بافتقاره وعجزه وجهله، وأن العبد حين يدعو ربه يكون قد قطع أمله عما سواه، وأعلن افتقاره اليه فى نوال ما يرجوه، تأمل قول نبى الله موسى عليه السلام حين آوى الى الظل فى أرض مدين ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4] وقالت طائفة إن آخر الآية ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾ يدل على أن المراد بالدعاء العبادة. وقيل يستأهل الدعاء أن يسمى عباده لدلالته على الاقبال على الله والإعراض عما سواه.

وقالت طائفة: أن الدعاء فى الآية المذكورة أُريد به حقيقته وهى الاستعانة بالله والتضرع اليه، وليس الاستدلال به قطعا كما قال أصحاب الفريق الأول، فهو كالحديث الشريف، الحج عرفة[5] أى أن الوقوف بعرفة هو الركن الأعظم فى الحج، ومن فاته الوقوف بعرفة فلا حج له. كذلك الدعاء هو أعظم العبادات وأفضلها، وتفوت كل عبادة بفواته خصوصا إن كان تركه استعلاءً وقال العلامة تقى الدين السبكى «الأولى حمل الدعاء فى الآية الكريمة على ظاهرة، وأما قوله تعالى بعد ذلك عن عبادتى، فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى ذلك فالوعيد إنما هو فى حق من ترك الدعاء استكباراً ومن فعل ذلك فقد كفر.

(١) ابن عربى الحاتمى الصوفى صاحب كتاب الفتوحات المكية، جاء إلى مصر، واختلف أهلها فى أفكاره واحتجزوه لقتله لولا أن تشفّع له البعض فرحل إلى دمشق وعاش بها حتى مات عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.

(٢) أورده الترمذى فى العدوات عن أنس مرفوعًا، وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، والحديث ضعيف ولم يصح سنده ولكنه جائزة فى العقل لو صَح النقل.

(٣) الفتوحات المكية / ط. صادر ١٠٠/٥٠٧.

(٤) القصص: ٢٤

(٥) رواه احمد فى مسنده وأبو يعلى فى مسنده والحاكم فى المستدرك عن عبد الرحمن بن يعمر/ صحيح

وقال الحكيم الترمذى[1]: الدعاء سؤال حاجة وافتقار فإنما يظهر على القلب ثم على اللسان، فما على القلب يسمى عبوده، وما على اللسان عبادة لذا قيل: إن المراد من الدعاء فى الآية هو الذكر والدعاء والسؤال.

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليسألن أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع».

وقيل: إن المراد من الدعاء فى الآية هو ترك الذنوب روى ابن جرير الطبرى فى تفسيره عن الاشجعى قال: قيل لسفيان: أدع الله، قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء ونحن نرى أن الدعاء اسم جامع للخيرات مستوعب لكل المعانى السابقة للأدلة التى أوردناها، ولأن من شروط قبول الدعاءالتوبة النصوح، والندم الصادق يزيلان ماران على النفس من صدأ المعاصى، ويغسلان ماحل بها من أدران الذنوب[2]، ويجعلانها مُتلألئة شفافة، تستشف الخير، وتعرف سُبله، وتصل الى ربها من أقرب الطرق وأسهلها فتؤتى ثمارها اليانعة الحين بعد الحين، كاملة غير منقوصة، فتكون لنفسها خيراً، ولغيرها قبساً تضىء للبشرية طريق الحياة. وهذه النفس التى شأنها كذلك، إذا ما التجأت الى الله تعالى بالدعاء، فتح الله لها أبواب السماء، واستجاب لها رب الأرض والسماء.

بقيت واحدة، وهى أن الأمر فى الآية الكريمة ﴿**ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ**..﴾ يُرجّح أن يكون للوجوب سواء كان الدعاء بمعناه الصريح، أو بمعنى العبادة، لأن القصد من الأمر الإلهى الوجوب، ولا يصرفه عن كونه للوجوب إلا بدليل، ولا يوجد معنا دليل فى هذه الآية أو غيرها لصرف الأوامر فيها عن الوجوب الى الندب أو الاستحباب بل الأمر على العكس من هذا.

وحيث أن آيات الدعاء فى القرآن كثيرة، خصوصا الآيات التى معنا فى هذا

---

(١) نوادر الأسول: ١/٦٣٦، والحكيم الترمذي هو أبو عبد الله محمد بن علي فقيه حنفي صوفي من مؤلفاته: ختم الولاية، ونوادر الأصول، توفي في بداية القرن الثالث الهجري، وهو غير الترمذي المحدث (أبو عيسي) صاحب كتابي: السنن والشمائل.

(٢) وفى المسند من حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه». رواه احمد والنسائى وابن ماجه والحاكم عن ثوبان وصحّحه.

الباب، ويحمل معظمها الأمر بالدعاء الاعتناء بشأنه، والحث عليه، وجاءت السُّنة النبوية لتدعم هذا الأمر بأكثر من حديث: فقد جاء فى تفسير ابن كثير مارواه الإمام احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدعُ الله عز وجل غضب عليه»، وفى رواية أخرى «من لم يسأل الله يغضب عليه»، ولايكون غضب الله فى أمر مندوب أو مُستحب وإنما يكون فى أمر واجب.

كما أن من رحمة الله تعالى بالعباد أن جعل الأمر بالدعاء واجباً حتى لايتكاسل الناس عن أهم مايربطهم بالله تعالى، ويقوى الصلة بينهم وبين خالقهم خصوصا إذا ادلهّمت بهم الخطوب، وانتباتهم الأعاصير.

obeikandl.com

الفصل الثانى

الأمر بالدعاء ضمنا[1]

يشير إليه قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2].

المبحث الأول

ربط الآية بما قبلها

ذكر الإمام الرازى[3] فى تفسيره وجوها ثلاثة ننقلها بتصرف:

١ـ أن الله تعالى: بعد أن فرض الصوم وبين أركانه قال: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]، فأمر العبد بالتكبير الذى هو الذكر، كما أمره أيضا بالشكر، بعد ذلك بين أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وشكره فيسمع دعاءه، ويجيب نداءه.

٢ ـ أن الله تعالى أمر أولا بالتكبير، ثم رغب ثانيا فى الدعاء تبنيها على أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقا بالثناء الجميل، ولقد ضرب الخليل ابراهيم عليه السلام المثل الأعلى فى ذلك، فى سورة الشعراء. فأثنى على الله تعالى أولا فقال: ﴿ الَّذِي

(١) ورد الأمر بالدعاء ضمنا فى أربع سور من القرآن الكريم هى البقرة، التحريم، الذاريات، وهى آية سورة البقرة المذكورة، واكتفينا بها لشمولها، يقول اله تعالى ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١) وقوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠] وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨ـ].

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٣) الامام الفخر الرازى: هو محمد بن عمر التيمى القرشى. له عدة مؤلفات اشهرها مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير. ولد بالرى وتوفى بمدينة هراة عام ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. (٤) سورة البقرة: (٥) و(٦) سورة الشعراء.

(٤) البقرة: ١٨٥.

﴿خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[1]، وبعد أن قدم الثناء، شرع فى الدعاء قائلا: «رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين»[2].

٣ ـ أن الله تعالي لما فرض علي المسلمين الصيام كما فرضه علي الذين من قبلهم وكان ذلك علي بعضهم حتي عصوا الله في ذلك التكليف ثم ندموا وسألوا النبي ﷺ عن توبتهم ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم.

المبحث الثانى

سبب النزول

لما شرف الله العرب بدخولهم فى دين الإسلام، وانتقلوا بذلك من عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان، لم يكونوا يعرفون من شئون الله تعالى إلا ماينزل به القرآن العظيم، أو يبينه لهم الرسول الكريم عن طريق الوحى.

وقد جال بأذهان بعضهم.. وهم قريبوا عهد بالجاهلية.. أن لله مكانا كما كان لآلهتهم، فسأل سائل منهم أين ربنا؟ أو أى ساعة ندعو؟ وكان سؤاله هذا ليعرف من أمر الله تعالى مالم يكن يعرف، ويبنى عقيدته على مايستيقن به من الرسول ﷺ.

وكما سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ هذا السؤال، سأل مثله أعرابى فقال: أقريب ربنا فنناجيه[3] أم بعيد فنناديه[4].

فلهذا كان لابد من وضع حد لأمثال هذا التساؤل حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[5].

---

(١) و (٢): الشعراء: ٧٧ - ٨٢.

(٣) أي فندعوه سرًا.

(٤) أي فندعوه جهرًا.

(٥) البقرة: ١٨٦.

وذكر الإمام الرازى فى تفسيره عن كعب الأحبار قال: قال موسى عليه السلام: يارب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك فقال: ياموسى أنا جليس من ذكرنى. قال: يارب فإنا نكون على حالة نجلك أن نذكرك عليها من جنابة أو غائط، قال: ياموسى إذكرنى على كل حال، فلما كان الأمر على هذه الصفة رغب الله تعالى عباده فى ذكره، وفى الرجوع اليه فى جميع الاحوال فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ويتضح من ذلك أن هذه الآية الكريمة نزلت للتجاوب والتوافق مع شريعة موسى عليه السلام، كما أنها توضح الحالة التى يجب على الانسان أن يكون عليها اثناء الدعاء، والطريقة التى يجب على العبد الداعى التزامها أمام ربه ومتى يدعو؟ وأن الله يقبل توبة التائبين.

المبحث الثالث

ما المراد من السؤال فى الآية؟

قد يكون السؤال عن ذات الله من حيث القرب والبعد، وقد يكون عن صفاته من سماعه دعاء الصالحين الداعين، وقد يكون عن كيفية إذنه، هل إذن أن ندعوه بجميع الاسماء أو بأسماء معينة؟ وهل اذن أن ندعوه على أى حال أم على حال معينة؟

غير أن وقائع أسباب النزول تدل على أن السؤال عن أحد الأمور الآتية:

* إما أن يكون السؤال فى الآية «وإذا سألك عبادى..» عن المكان لله تعالى من حيث القرب والبعد؟! أو عن الزمان الذى يصلح الدعاء فيه؟، وقلنا فى المبحث السابق أن بعض الصحابة، وهم قريبو عهد بالجاهلية، قد جال بأذهانهم، أن الله مكانا كما كان لآلهتهم، فسأل مثل هذه الاسئلة: أين ربنا؟ أو أى ساعة ندعو؟ وكان سؤاله ليعرف من أمر الله مالم يكن يعرف، ويبنى عقيدته على مايتيقن به من رسول الله ﷺ.

* أو عن الحال التى ينبغى أن يكون العبد عليها ليكون صالحها للدعاء.

* أو عن كيفية سماع الله تعالى دعاء الداعين.

* أو عن حقيقة قبول توبة العاصى، ايقبلها الله أم لا؟

المبحث الرابع

ما المراد من القُرْب فى الآية «فإنى قريب»؟

هذه الجملة الاسمية «فإنى قريب» تحمل جوابا حاسما وشافيا لكل الاسئلة سالفة الذكر، فهى صالحة لأن تكون جوابا لمن سأل عن مكان الله وعن كيفية سماعه للدعاء، أهو بصوت مرتفع أو بصوت خفيض، وعن زمان الدعاء، والحال التى يكون عليها الداعى، وتوبة العاصى، وكأن المولى جل شأنه يقول أيها السائل عن صحة قبول توبتك، فها أنا ذا أجيبك بأنى قريب منك فاطرق باب التوبة استجب لك.

ويستطيع المتأمل لهذه الجملة الكريمة أن يستنتج منها عدة أمور:

* كونها جوابا مستقلا ومطابقا لكل سؤال من الاسئلة السابقة.

* انه بهذا الجواب الحاسم علموا أن الله تعالى ليس ببعيد عنهم بل هو قريب منهم بعلمه، وإن لم يكن له مكان، لاستحالة المكان على الله تعالى، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل، فإنه إذا قُرب من شىء بعد عن شىء آخر، والجملة الكريمة ناطقة بأنه قريب من كل شىء، وهو سبحانه وتعالى الموجود قبل خلق المكان فوجب أن يكون المراد من القرب أحد أمرين: إما الرؤية والسمع أو العلم والتدبير والحراسة. ومن ثم فان المفاجأة الخافتة لله، والنداء بصوت جمهورى يستويان عنده.

ويلاحظ أن الآية الكريمة خلت من الوساطة المحمدية، وخالفت ما جرت عليه عادة الآيات لقرآن المتضمنة للسؤال، فقد اشتمل القرآن على اثنى عشر سؤالا فيهما ثلاث عشر مسألة (١) كلها واردة على لسان مشركى العرب، فكان أمر الله تعالى لنبيه ﷺ أن يبلغهم رده عليهم، كقوله تعالى:

(١) قال عبد الله بن عباس: مارأيت قوما خيراً من اصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة كلهن فى القرآن: يسألونك عن المحيض، يسألونك عن الشهر الحرام، يسألونك عن اليتامى، يسألونك عن الأهله، يسألونك عن الانفال، يسألونك ماذا أُحلّ لهم، يسألونك ماذا ينفقون، يسألونك عن الساعة، يسألونك عن الخمر والميسر، يسألونك عن ذى القرنين، يسألونك عن الروح، يسألونك عن الجبال، ماكانوا يسألون إلا عما ينفعهم

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾(١).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾(٢).

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٣).

ورفع الوساطة دليل على محبة الله تعالى لعباده العائدين اليه بعدما اقترفوه من ذنوب كما أنها حث للعُصاة على ولوج باب التوبة والاقلاع عن المعصية، والله سبحانه أفرح بتوبة عبده حين يتوب اليه من الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه فى ارض دويّة مهلكة إذا وجدها، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى ارض دويّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع الى المكان الذى كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه. فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»(٤)

ومن طريف ما قاله الامام الرازى فى هذه المناسبة: أعلم أن قوله تعالى «فإنى قريب» فيه سر عقلى وهو أن انصاف ماهيات الممكنات بوجوداتها إنما كان بإيجاد الصانع، فكان ايجاد الصانع كالمتوسط بين ماهيات الممكنات وبين وجوداتها، فكان الصنع أقرب الى ماهية كل ممكن من وجود تلك الماهية اليها.

ثم قال بل هلّها كلام من أعلى من ذلك وهو: أن الصائع هو الذى لأجله صارت ماهية الممكنات موجودة، فهو ايضا لأجله كان الجوهر جوهراً، والمواد مواداً، والعقل عقلا، والنفس نفسا، فكما أن بتأثيره وتكونه صارت الماهيات موجودة، فكذلك بتأثيره وتكونه صارت كل ماهية تلك الماهية، فعلى قياس ماسبق، كان الصانع أقرب

---

(١) البقرة: ٢١٧.
(٢) البقرة: ٢١٩.
(٣) الإسراء: ٧٥.
(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم طـ. دار الكتب العلمية / جـ ص٩.

الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها. ثم ساق اعتراضا ليتسنى له الرد عليه ودحضه فقال: فإن قيل تكوين الماهية ممتنع، لأنه لايعقل جعل المواد مواداً. فرد قائلا: فنقول: فكذلك ايضا لايمكن جعل الوجود وجوداً لأنه ماهية ولايمكن جعل الموضوعية دالة للماهية فلا تكون بالفاعل، فإذن لم يقع شيء البتة بالفاعل وذلك باطل ظاهر البطلان، فإذا وجب الحكم بأن الكل بالفاعل وهو الله تعالى[1].

المبحث الخامس

ما المراد من الدعوة في هذه الآية

قد يكون المراد من الدعوة (باعتبارها مصدر دعاء) أحد الامور التالية.

* التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد «يا الله.. الذى لا إله إلا أنت، وسمى هذا النوع دعاء لأن العبد عرف الله تعالى ثم وحده وأثنى عليه، وبهذا التأويل يسمى قبوله اجابة لتجانس اللفظ ومثل ذلك كثير.
* التوبة من الذنوب لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة والاجابة هنا قبول التوبة.
* العبادة لقول رسول الله ﷺ «الدعاء هو العبادة» يدعم ذلك قوله تعالى «ادعونى استجب لكم» فالاجابة على ضوء ذلك تحمل معنى الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب.
* طلب العبد من ربه حوائجه، وعليه تكون الدعوة بمعنى الدعاء والمراد منها التوحيد والثناء والتوبة والعبادة وقضاء الحوائج.

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام الفخر الرازى.

obeikandl.com

المبحث السادس

معنى إجابة «دعوة الداعى»

لإجابة العودة بمعنى الدعاء عدة معان نذكر منها مايلى:

* القبول: إذا كان الدعاء توبة.

* بمعنى «أسمع» لوجود الملازمة بينهما، قاله ابن الأنبارى.

* الإثابة: إذا فسرنا الدعاء بمعنى العبادة.

* الإنجاز: إن كان الدعاء بمعنى السؤال والطلب.

* النجدة: إذا كان الدعاء بمعنى الاستغاثة.

وقال الحسن البصرى: أجيب دعوة الداع إذا دعان، أى أقبل عبادة من عبدنى، فالدعاء بمعنى العبادة والإجابة بمعنى القبول.

وهل هذه الاجابة عامة لكل داع أم خاصة؟.. ذهب المعتزلة الى القول بتخصيصها بالمؤمنين الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلمهم، وحجتهم فى ذلك أن الله وصفهم بما يفيد مدحهم حيث أجاب دعوتهم.

وقال الإمام علىّ رضى الله عنه «ماكان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة، ولاليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة»[1].

(١) نهج البلاغة: ٥٥٣.

obeikandl.com

المبحث السابع

معنى «فليستجيبوا لى»

قال الواحدى: أجاب واستجاب بمعنى واحد ولذلك قال أهل المعنى الاجابة من العبد لله تعالى هى الطاعة، والاجابة من الله تعالى لعبده هى اعطاؤه مايطلبه لأن اجابة كل شىء على وفق مايليق به.

وقد يكون المقصود من الاستجابة «الانقياد والاستسلام لأوامر المولى عز وجل» وهنا دقيقة لطيفة وهى: أن الله ذكر أولا اجابته لعبده ثم ثنى باجابة العبد لله تعالى فقال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾[1].

وفى هذا مايفيد عظم فضل الله تعالى عباده وسعة كرمه يهم، كما يفيد بأن اجابة الله عبده متقدمة على طاعة العبد، وهذا عين الفضل الإلهى على العباد، فهو يعلم أن العبد فقير ومحتاج اليه سبحانه من كل الوجوه، والله غنى عن العالمين.

بقيت ملحوظة تتردد فى جنبات النفس قائلة: إذا كان الله قد قال فى هذه الآية: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

وقال فى آية أخرى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وقال فى آية ثالثة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[2].

فلماذا نرى بعض الناس بل الكثير منهم يدعو ويبالغ فى الدعاء الى درجة الالحاح ثم لايستجاب له، الجواب على هذا يتلخص فيما يلى:

(١) البقرة: ١٨٦.
(٢) النمل: ٦٢.

١ - عن حذيفة[١] رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعوته فلا يستجيب لكم» رواه الترمذى.

٢- روى أن أهل البصرة جاءوا الى ابراهيم بن أدهم وقالوا له: قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

ومالنا منذ دهور ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء فكيف يستجاب لكم؟: «عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به، وادعيتم عدواة الشيطان وأطعمتوه ووافقتموه، وتقولون انكم من أُمة محمد ولم تعملوا بسنته، وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها وقلتم إن الجنة حق فلم تعملوا لها، وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها بل رميتم أنفسكم فيها، وقلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، وانتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم، ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا».

إذا فعدم استجابة الدعاء إما أن تكون لفقد شرط من الشروط المتقدمة، وعدم الوقوف عند حدود الله تعالى، والتفريط فى أداء الواجبات، وهذا مابينه حديث الرسول ﷺ الذى قال فيه: «يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[٢].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٣].

(١) هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسل، فهو حذيفة بن حسل، ويقال حُسيل، من الأنصار، واليمان لقب لُقِّب به لأنه أصاب دما في قومه فهرب إلي المدينة فحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه اليمان، لأنه حالف الأنصار وهم من اليمان. إسلم حذيفة وأبوه، وهاجر إلي رسول الله ﷺ وشهد جميعًا أُحدًا وقُتل أبوه يومئذ، قتله المسلمون خطأ، فوهب له دمه. وكان حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده، كما كان كثير السؤال عن الفتن يسأل رسول الله ﷺ عنها ليتجنبها، توفي بالمدائن سنة (٣٦) هـ بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعين ليلة، ولم يدرك وقعة الجمل.

(٢) المؤمنون: ٥١.

(٣) البقرة: ١٧٢.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغير يمد يديه الى السماء: يارب يارب، ومطمعه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[1].

وإما أن يكون الدعاء مستجاباً فى الواقع ولكنه فى نظر الانسان غير مستجاب، وهذا يحتمل عدة أمور.

أحدهما: أن يكون الدعاء مستجابا ولكنه مؤجل لحكمة يعلمها الله تعالى.

ثانيها: أن يدعو الانسان بشىء لكن الله يبدله بشىء آخر يكون أنفع للعبد، كالشفاء من المرض وغير ذلك من دفع بلاء كان سينزل به، قال على رضى الله عنه: «ارفعوا افواج البلايا بالدعاء» وعن أنس رضى الله عنه يرفعه «لاتعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد».

ثالثها: ادخار ذلك للعبد لينال به الثواب يوم القيامة.

وقد بينت ذلك السّنة الشريفة:

* «منها» عن أبى سعيد الخدرى[2] رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، أو قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذاً نكثر؟ قال: الله أكثر»[3].

* ومنها مارواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقِفه بين يديه، فيقول عبدى إنى أمرتك أن تدعونى،

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو سعيد بن شبيان الخدري الأنصاري، وكان من أعين الصحابة وفقهائهم، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما وروي طائفة من الأحاديث، رُوِي عنه أنه قال: قتل أبي يوم أُحُد شهيدًا، وتركنا بغير مال، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله شيئًا، فلما رآني قال: من استغني أغناه الله، ومن يستعف أعفه الله، قلت: ما يريد غيري، فرجعت. وروي أنه كان من حُفاظ الحديث المكثيرين، وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة رضي الله عنه يوم الجمعة ودُفن بالبقيع.

(٢) رواه أحمد والبراز وأبو يعلي والحاكم.

ووعدتك أن استجيب لك، فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إما أنك لم تدعنى بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن افرج عنك فلم تر فرجا؟ قال: نعم يارب فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا، ودعوتنى فى حاجة أقضيها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها؟ فيقول نعم يارب،فيقول إنى عجّلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تَر قضائها؟ فيقول: نعم يارب فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا. . قال رسول الله ﷺ: فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل بها فى الدنيا، وإما أن يكون ادخرها له فى الآخرة. قال: فيقول المؤمن فى ذلك المقام: ياليته لم يكن عجل له شيء من دعائه»[1].

فعلى المؤمن أن يدعو ربه فى كل وقت وفى كل حين، وأن يحقق من نفسه، شروط القبول، وكان يحيى بن معاذ يقول: «من أقرّ لله بإساءته جاد عليه بمغفرته، ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته، ومن أخلص لله فى دعوته مَنّ الله عليه بإجابته».

(١) رواه الحاكم.

obeikandl.com

الفصل الثالث

الأمر بالدعاء فى صورة التهكم

جاء الأمر بالدعاء فى صورة التهكم فى خمس آيات من أربع سور فى القرآن الكريم، هى الأنعام والمؤمنون والفرقان والنمل:

١- قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾** ﴾(١).

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة والمشركين ماذا تفعلون إذا حل بكم العذاب أو فاجأتكم الساعة؟ هل كنتم تفعلون شيئا غير التضرع والابتهال وطلب الغوث والنجدة من الله تعالى؟!، واذا كان الامر كذلك، ولامفرّ لكم منه، فلماذا لاتدعون الله أن يوفقكم للحق والصواب، ويتوب عليكم ويهديكم الى الاسلام؟!

٢- قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾(٢).

المعنى: «ولقد أخدناهم بالعذاب» أى ابتليناهم بالمصائب والشدائد، وبالقحط والجوع «فما استكانوا لربهم» اى ما خضعوا لله ولا تواصعوا لجلاله «ومايتضرعون» أى وما دعوا ربهم لكشف البلاء بل استمروا على العتوّ والاستكبار، والغرض أنه لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله فى الماضى، ولا التجاء الى الله فى المستقبل لشدة جبروتهم وطغيانهم.

٣- قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا** ﴾(٣).

المعنى: قل يا محمد لأهل مكة إن الله لايهتم بأمركم لكفركم وشرككم، ولولا دعاؤكم، وتضرّعكم إليه لما أبقى منكم أحداً، فداوموا على الدعاء والاستغاثة به، عسى أن يشملكم بعفوه ورحمته.

---

(١) الأنعام: ٤٠

(٢) المؤمنون: ٧٦

(٣) الفرقان: ٧٧

٤- قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1].

المعنى: أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات الدالة على وحدانيته، الناطقة بالبراهين على قدرته وحكمته وفيها مافيها من التبكيت للمشركين والتهكم بهم، وفيها عظة وتذكرة، ومنها هذه الآية.. ينبه المولى جل وعلا أنه المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل فى قوله تعالى: «أمّن يجيب المضطر إذا دعاه» أى من هو الذى لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذى لايكشف ضر المضرورين سواه.

روى الإمام احمد فى مسنده[2] عن رجل من بلهجيم (لم يذكر اسمه فى هذه الرواية): قال: قلت يارسول الله إلام تدعو؟ قال «أدعو إلى الله وحده الذى إن مسّك ضر فدعوته كشف عنك، والذى إن أضللت بأرض قفز فدعوته رد عليك، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك، قال: قلت أوصنى.

قال «لاتسبّن أحدا ولاتزهون فى المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى، واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة» وفى رواية[3] قال «أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه، فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية، وفىّ جفاؤهم فأوصنى، قال «لاتحقرنّ من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى، وإن امرؤ

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) المسند هو المصدر المثبت والكتاب الجامع الذى جمع فيه الإمام الجليل أحمد بن حنبل أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. وقد كان هذا السفر العظيم على الرغم من جلالة قدره وقدر صاحبه غير مرتب على الطريقة المعاصرة فوفق الله لترتيبه وشرحه والتذييل له الرجل التقى الصالح الشيخ عبد الرحمن أحمد الساعاتى وطبعة أنيقة، ثم طُبع بتحقيق المحدث المفضال الشيخ أحمد شاكر، وحديثا بتحقيق الألبانى.

(٣) رواه أحمد فى مسنده عن جابر بن سليم الهجيمى (وهو اسم الصحابى الذى لم يذكره فى الرواية الأولى.

شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزرار فإن إسبال الإزرار من المخيلة وإن الله لايحب المخيلة»

وقال ابن أبى حاتم فيها يحكيه عن عبيد الله بن أبى صالح قال: دخل علىّ طاووس[1] يعودنى، فقلت له: ادع الله لى يا أبا عبدالرحمن فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وقال وهب بن منبه[2] : قرأت فى الكتاب الأول: أن الله تعالى يقول: بعزتى إنه من اعتصم بى فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن، فإنى أجعل له من بين ذلك مخرجا،ومن لم يعتصم بى فإنى أخسف به من تحت قدميه الأرض فاجعله فى الهواء فأكله إلى نفسه. «ويكشف السوء» أى ويكشف عنه الضر والباساء «ويجعلكم خلفاء الأرض» أى ويجعلكم سكان الأرض تعمرونها جيلا بعد جيل، وأمة بعد أمه، وقوما بعد قوم، ولو شاء لأوجدهم كلهم فيى وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل ولو شاء لخلقهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض، ولكن لايميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع فى وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة، ويذرؤهم فى الأرض، ويجعلهم قرونا بعد قرون، وأمما بعد أمم حتى ينقضى الأجل وتفرغ البرية كا قدّر ذلك تبارك وتعالى، وكما أحصاها وعدهم عدا، ثم يقيم القيامة، ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى: «أمّن يجيب المضطر إدا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء، الأرض أإله مع الله» أى يقدر على ذلك، أو أإله مع الله يعبد؟ وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لاشريك له، والجمله الكريمة «أإله مع الله» استفهام إنكار وبرهانا ينطق بوحدانية الله وقدرته وحكمته «قليلا ماتذكرون» أى ما أقل تذكركم واعتباركم فيما

(١) طاووس بن كيان: من أعلام التابعين، كان فقيها محدثا، توفى حاجا بمكه قبل يوم التروية بيوم عام ١٠٦
(٢) وهب بن منبه الأنبادى الصنعانى (٣٤ - ١١٤ هـ) كثير الأخبار عن الكتب القديمة، صحب ابن عباس ١٣ عاما. ولاه عمر بن عبدالعزيز قضاء صنعاء ومات بها عام ١١٤ هـ.

تشاهدون؟ ومايرشدكم الى الحق ويهديكم الى الصراط المستقيم.

٥- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾(١)

يسوق الله تعالى هذه الآيات تسلية لرسول الله ﷺ ليعلم بأن شأن أمته معه كشأن الأمم السابقة مع رسلها، فيقول الله تعالى فى الآية السابقة على هذه الآيه «ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون» أى لاتضجر يامحمد من حال قومك فإن هذه عادة الأمم قبلهم مع أنبيائهم، فلما كذبوا بما جاءهم به الرسل أخذناهم بالشدة والفقر والآفات والأمراض والأسقام والآلام رجاء ان يرفعوا أكفّ الضراعة الى الله تعالى داعينه أن يكشف عنهم ماحل بهم من المصائب والنكبات

وكيف لايتأتى منهم الدعاء والتضرع بنزول ما حل بهم وقد تأكدت بهم أسباب اللجوء الى الله والاستغاثة به، ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل فعلوا نقيضه بأن قست قلوبهم وغلظت أفئدتهم، وتمادوا فى غيهم، فلم ترق قلوبهم ولم تخشع إلى الله تعالى، ولم يتعظوا من البلاء النازل بهم، ولم يرجعو الى ربهم، ونسوا كل ماهم فيه من بؤس وشقاء، منحهم الله النعم استدراجالهم حتى اذا فرحوا بها، واطمانوا وظنوا أنهم فى مأمن من عقاب الله، اخذهم فجأة على حين غفلة منهم، فاذا هم آيسون من رحمة الله مخلدون فى العذاب المقيم، بل قطع الله دابرهم، واستأصل شافتهم ولم يبق منهم احدا.

بلاغة وتنبية

* «لولا» أفادت اللوم والندم والتوبيخ هنا لدخولها على الماضى، كما انها افادت انهم لم يتركوا التضرع لعذر طرأ عليهم بل تركوه عنادا واستكبارا، والعدول عن النفى الصريح الى هذا الأسلوب لافادة أنهم كانوا متمكنين من التضرّع لكنهم لم يفعلوه، وذلك اقوى فى باب اللوم والتقريع، لأن نفى التضرع لا يدل على عدم المانع من

---

(٣) الأنعام: ٤٣

التضرع، لهذا قال التفتازانى «وذلك انما يجب اذا لم يكن له فى ترك الفعل عذر مانع منه».

* الاستدراك بـ «لكن» هنا من أحسن مواقع الاستدراك لوقوعه بين ضدين، أى فلما لم يتعظوا بما أنزل الله عليهم من بلاء، منحهم النعم استدراجا منه تعالى وإملاءلهم، ليأخدهم فى غفلة رفاهيتهم وسعادتهم، وكان الاجدر بهم غير ذلك والمراد بقسوة قلوبهم اى مارقّت ولاخشعت بل استمروا على شِرْكهم وعنادهم ومعاصيهم ومن ثم فاجأهم الله بالعذاب وقطع دابراهم، والمراد بقطع دابرهم اى اهلاكهم جميعا ـ قال الاصمعى* وابو عبيدة: دابر القوم اخرهم، وقيل أصلهم، وهلاك آخر القوم مستتبع لهلاكهم جميعا باللزوم العادى.

* العذاب الذى نزل بهم كان بسبب عدم إيمانهم، وهذا بسبب عدم تضرعهم واستغاثتهم بالله ودعاءهم اياه ان يرفع عنهم ماحل بهم من البلاء فدل ذلك على أن الدعاء سبب الايمان وتركه مدعاة لغيره، كما ان روح الدعاء هو الايمان بالله.. بمجيب الدعاء.

* الدعاء واجب على كل إنسان، لأن ماتوقف عليه الواجب فهو واجب، وقد توقف وقوع الايمان على الدعاء فكان الدعاء واجبا. قال الحسن البصرى: من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأى له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى لهم ثم قرأ ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾**﴾[1] قال: مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم اخذوا» وقال قتاده: بغت القوم امر الله، وما اخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله فإنه لايغتر بالله الا القوم الفاسقون»[2].

* دلت الآية على ان من لم يسأل الله تعالى ويتنجد به فى الملمات يستحق غضبه ونقمته وعذابه.

---

(١) الأنعام: ٤٤

(٢) رواه ابن أبى حاتم

(*) الأطمعى: أديب عربى وراوية اشتهر بالنوادر فى الأدب والشعر، مات بالبصرة عام ٢١٦هـ، ٨٣١م.

* تفيد الآية أن هلاك العصاه رحمة بهم حتى لايزدادوا بامتداد أعمارهم فسادا فيزدادوا عذابا وعقابا

* قال أهل المعانى: وإنما أُخذوا فى حال الرخاء والراحة ليكونوا أشد تحسّرا على مافاتهم من حال السلامة والعافية.

* قال رسول الله ﷺ: «اذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصية ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣].

(١) رواه عقبة بن عامر رضى الله عنه..

obeikandl.com

الفصل الرابع

الأمر بالدعاء فى سياق مايجب توفره فيه من شروط

وهو المشتمل على بعض الصفات التى ينبغى توفرها فى الداعى والدعاء.. فى ست آيات من سورتى الأعراف وغافر: قال الله تعالى:

- ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(١).

- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٢).

- ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

- ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾(٤).

- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾(٥).

- ﴿هُوَ الْحَىُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾(٦).

إذا تأملنا الآيات الكريمة نجد فيها دعوة الهية الى الدعاء.. واغراء ربانى له وحضن عليه، اما الآيات الثلاث (١، ٥، ٦) فتشترط الاخلاص.. والامر فى هذه الآيات للوجوب.. كما يمكن القول بأن الأمر بالدعاء فيها ليس مقصورا على المسلم

---

(١) الأعراف: ٢٩.
(٢) الأعراف: ٥٥.
(٣) الأعراف: ٦٤.
(٤) الأعراف: ٢٠٦.
(٥) غافر: ٦٤.
(٦) غافر: ٦٥.

فحـــب بل يعم كل انسان ايا كانت عقيدته بدليل قوله تعالى «ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون» ولما كان الدعاء هو العبادة بل مخها اشترط ان يكون الاخلاص رائده، ولذلك نجد الله تعالى قد كرر الأمر به تارة بالوار فقال «وادعوه مخلصين» وتارة بالفاء فقال «فادعوا الله مخلصين»، وحث عليه كثيرا، كما أمر الداعى أن يكون مخلصا فى دعائه بحيث يكون متوجها به إليه لا إلى غيره فيكون ملتفتا الى مولاه ـ بكليته، بقلبه، غير غافل عنه ولاساه، ولكى يكون الدعاء مقبولا يشترط على الداعى ان يجعل الله ملاذه وملجأه ومرتجاه فى كل أموره الفعلية والقولية، وفى نطقه وصمته فاذا دعاه كان منشرح الصدر طيب النفس قرير العين، مقبلا على عمله بجد وإخلاص، محبا لبنى جنسه، راضيا بما قسم الله تعالى، لايتطلع الى ما فى أيدى الناس من نعم الله لان ذلك العبد يرى من خلال ثقته بربه وتوكله عليه ان ما كان له سوف يأتيه ولن يخطئه الى غيره. . بهذه الصفات الحميدة يستطيع دعاءه ان يصعد الى الله، ويحل فى رحاب ملكوته وقدسيته، فهو الواثق فى قول ربه«إنى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان» وقوله تعالى «إن رحمة الله قريب من المحسنين» لهذا يمتدح المصطفى ﷺ ذلك الصنف من الناس فيقول «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعملوا ان الله لايقبل دعاء من قلب غافل لاه.

لأن الإعداد النفسى والايقان القلبى، واليقين من الاجابة له دخل فى تحقيق الرجاء وإجابة الدعاء. . كما ان غفلة القلب تبطل قوته، وهذا يدل على حتمية التوجه الى الله سبحانه وتعالى حال الدعاء، وألا يكون هناك سلطان من الغفلة على قلب المؤمن وصدره، إنما يكون مطمئنا رطبا دائما بذكر الله تعالى فذلك أدعى وأقوم لاستجابة الدعاء.

قال ابن جرير فيما يرويه عن ابن عباس رضى الله عنه: من قال: لا إله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى «فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين».

وروى الامام احمد قال: كان عبدالله بن الزبير يقول فى دبر كل صلاة حين يسلم: لا أله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا اياه له النعمة وله الفضل وله

الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. قال: وكان رسول الله ﷺ يهل بهن دبر كل صلاة»[1]

ان الدعاء الذى لايصحبه الاخلاص، وكذلك كل عمل لبنى الانسان.. يصبح صورة بلا حياة، وجثة بلا روح والله تعالى إنما يريد من الأعمال حقائقها، لا رسومها وصورها، ولهذا يرد كل عمل مغشوش على صاحبه، كما يرد الصيرفى الناقد العملة الزائفة وفى الحديث الصحيح: «ان الله لاينظر إلى أجسامكم وصوركم ولكن ينظر الى قلوبكم»[2]

وقال الله تعالى فى شأن قرابين الهدى والأضاحى التى يقدمها الحجاج والمعتمرين ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[3]

وليس تشديد الاسلام فى طلب الاخلاص، وتأكيده على تجريد النية لله، وتصحيح الاتجاه اليه وحده ضربا من التزمت او العبث فإن الحياة نفسها لاتستقيم ولاترتقى إلا بالمخلصين والإخلاص تتعدد جهاته ونواحيه ومقاصده فى الحياه، ففى القمة يأتى اخلاص العبد لربه، وهو إقراره بالعبادة والتقديس، واخلاص المسلم لرسوله ﷺ وهو حبه له وحرصه على سنته وتمسكه بهديه وفناؤه فى خدمة ملته وشرعته، واخلاص الانسان لبنى الإنسان بأن يريد لهم الخير ويتمنى لهم الهداية والتوفيق، ويعمل لذلك ما استطاع اليه سبيلا، واخلاص المرء لوطنه بأن يدافع عنه، ويضحى فى سبيله بالنفس والنفيس، وإخلاص المرء لأهله وأصدقائه أو مخالطية.. وما استفاض الاخلاص بين جماعة من الجماعات فى شئون الدين والدنيا إلا استفاض فيهم الخير، وزهق من بينهم الباطل. وكانوا من خير السعداء.. روى أن الرسول ﷺ قال: طوبى للمخلصين! أولئك مصابيح الهدى، تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء!

وروى عن معاذين جبل قال: لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت: أوصنى قال ﷺ: أخلص دينك يكفك القليل من العمل «اى اجعل ايمانك خالصا مما يشوبه من شهوات النفس، واخلص طاعتك لله يصبح القليل من عملك كثيرا مباركا».

ولذلك حرص الأولون والكرام السابقون من صفوة هذه الامة على طلب الإخلاص وتحقيقه والحث عليه، اذ كانوا يرون فيه خلاصهم وخيرهم، فها هو ذا عمر

---

(١) ورواه مسلم وأبو داود والنسائى عنه أيضًا.

(٢) رواه مسلم. (٣) الحج: ٣٧.

يكتب لأبى موسى الاشعرى قائلا: من خلصت نيته كفاه الله تعالى مابينه وبين الناس. وكان معروف الكرخى[1] يضرب نفسه ويقول: أخلصى تتخلصى! وقال ذو النون المصرى[2]: ثلاث من علامات الاخلاص: (١) استواء المدح والذم من العامة (٢) نسيان رؤية الأعمال فى الأعمال[3] اقتضاء ثواب العمل فى الاخرة.

وقال السيد الجليل أبو محمد سهل بن عبدالله التسترى[3]: «نظر الأكياس فى تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه فى سر وعلانية لله تعالى لايمازجه نفس ولا هوى ولادنيا».

وقال بعضهم: فى إخلاص ساعة نجاه الأبد، ولكن الإخلاص عزيز وقيل: العلم بذر، والعمل زرع وماؤه الاخلاص.

وقال الجنيد[4]: ان لله عبادا عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا، أخلصوا، فاستدعاهم، الإخلاص الى البر أجمع».

---

(١) معروف بن فيروز الكرخى: احد اعلام الزهاد والمتصوفين، ولابن الجوزى كتاب فى أخباره وآدابه، توفى ببغداد سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م..

(٢) هو الامام الصوفى المشهور أبو الفيض ذو النون ثوبان بن ابراهيم المصرى وكان ابوه نوبيا، وكان رضى الله عنه رجلا نحيفا تعلوه حمره، وليس بأبيض اللحية، ومن كلامه: يامعشر المريدين، من اراد منكم الطريق فليلق العلماء باظهار الجهل، والزهاد باظهار الرغبة، والعارفين بالصمت. وسئل رضى الله عنه عن السفلة من الخلق: من هم؟ فقال: من لايعرف الطريق الى الله ولايتعرفه. وكان يقول: سيأتى على الناس زمان تكون الدولة «الغلبة» فيه للحمقى على الاكياس. ومناقبه مشهورة وعطاته وكلماته الحكيمه مستفيضة، وقد توفى سنة خمس واربعين ومائتين، ولما توفى رضى الله عنه بالجيزة حمل فى قارب مخافة ان يقع الجسر من كثره الناس فى جنازته قيل: ورأى الناس طيور خضرا ترفرف على جنازته حتى وصلت قبره.

(٣) ابو محمد سهل بن عبدالله التسترى (بضم ثم سكون ثم فتح) اشتهر بالورع وكثرة العبادة، توفى سنة ٢٨٣هـ.

(٤) الجنيد: ابو القاسم البغدادى الصوفى: تاج العارفين وسيد طائفة الصوفية وشيخهم، وابوه محمد الزجاج القواريرى كان يبيع الزجاج، فلذا يقال له القواريرى، أصله من نهاوند، وولد ونشأ بالعراق، وكان فقيها وهو اول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، قال عنه ابن الاثير: امام الدنيا فى زمانه، وكان من كبار ائمة القوم وسادتهم وكلامه مقبول على جميع الالسنة، وحج على قدميه ثلاثين حجه، ومن كلامه: ان الله يخلص الى القلوب من بره على حسب ماتخلص اليه القلورب فمن ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟ وسئل عن المعرفة أهى كسب أم ضرورة فقال رضى الله عنه: رايت الاشياء تدرك بشيئين فما كان منها حاضرا فبالحسِّ، وما كان منها غائبا فبالدليل، ولما كان الحق تعالى غير بادلحوا اسنا كانت معرفته بالدليل والفحص، اذ كنا لانعلم الغيب والغائب إلا بالدليل ولانعلم الحاضر الا بالحس. وكان يقول: من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبيعن بابا من التوفيق، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين بابا من الخذلان من حيث لايشعر! وكان يقول: ان للعلم ثمنا فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه، وقيل له: وماثمنه؟ قال: وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه. توفى عام ٢٩٧ هـ.

رزقنا الله واياك نعمة الاخلاص وحلاوة التقوى، وجنبنا شهوات النفس وجواءب الدنيا، وأنار لنا السبيل باليقين والهدى، وحفظنا من زلات الرياء والنفاق، وغفر لنا مالا نعلم وما لانستطيع من حظوظ النفس ودواعيها، انه نعم المولى ونعم النصير.

والسؤال الخاشع لله أولى من الصوت الجهير قال تعالى: (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين).

ومعنى الآية: ادعوا ربكم سبحانه خاشعين له مسِّرين فى الدعاء.

وعلى هذه الصوة الكريمة المشرقة كان صحابة رسول الله ﷺ، ولذلك يقول الحسن رضى الله عنه: ان الرجل كان يجمع القرآن، ومايشعر به جاره، يفقه الكثير ومايشعر به الناس، ويصلى الصلاة الطويلة فى ليلة وعنده لزائرون ومايشعرون به، ولقد أدركنا أقواما كانوا يبالغون فى إخفاء الأعمال، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ومايسمع صوتهم إلا همساً».

وقال ابن جرير «تضرعا وخفية» تضرعا تذللا واستكانه لطاعته، وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهارا ومراءا. وقد أثنى الله على رسوله زكريا عليه السلام وقد رضى فعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

- ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

صدر الآية﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾[4].

---

(١) مريم: ٣.
(٢) الاعراف: ٥٥.
(٣) الاعراف: ٥٦.
(٤) الأعراف: ٥٦.

ينهى تعالى عن الإفساد فى الارض وما أضره بعد الاصلاح، فانه اذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الافساد عد ذلك كان أضر ما يكون على العباد فنهى الله تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع اليه، والتذلل لديه فقال وادعوه خوفا وطمعا أى خوفا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ أى أن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون اوامره، ويتركون زواجره ونواهيه، كما قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾(١).

الآية، وقال قريب ولم يقل قريبه لانه ضمَّن الرحمة معنى الثواب، أو لانها مضافة الى الله، فلهذا قال: ﴿**اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٢).

وقال مطر الوراق: استنجزوا موعود الله بطاعته، فانه قضى أن رحمته قريب من المحسنين»(٣).

والامر بالدعاء فى هاتين الآيتين «الثانية والثالثة للوجوب لا للندب وقد اوجبت على الداعى صفات أربع يجب ان يتحلى بها فى دعائه وهى: التضرع والخفية والخوف والطمع وقد بيناها فيما سبق.

وفى الآية الرابعة يقول الله تعالى ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾**﴾(٤).

وهذه الآية وان كانت فى الظاهر خطابا مع الرسول إلا أنها عامة فى حق المكلفين كما انها عُطفت على ماقبلها وهو قوله تعالى ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(٥) فهى جارية مجرى الأمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأن يجهر

---

(١) الأعراف: ١٥٦.
(٢) الأعراف: ٥٦.
(٣) رواه ابن أبى حاتم.
(٤) الأعراف: ٢٠٦.
(٥) الأعراف: ٢٠٤.

بالقرآن ليسُمع المسلمين، وإنما أُمر بذلك ليؤدى رسالة ربه، ويبلغ وحيه ـ ثم جاءت آيتنا هذه بعدها لتبين مابه تكمل النفس البشرية عند خلوتها، وما يزكيها عند خالقها فى مقام الذكر والمناجاة، فأمر بالتضرّع والخفية ليكون العمل أبعد عن الرياء فيتحقق الهدف المنشود وهو الحصول على رضا الله تعالى.

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار فقال لهم النبى ﷺ «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون اصم ولا غائبا ان الذى تدعونه سميع قريب أقرب الى احدكم من عنق رحلته».

وذِكْر الله جل جلاله له فوائد عظيمة لا يحصيها الا ملْهمه جل شأنه، روى الإمام أحمد فى مسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ماعمل آدمى قط عملا انجى له من عذاب الله، من ذكر الله عز وجل ، وقال معاذ: قال رسول الله ﷺ: الا اخبركم بخير اعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يارسول الله، قال: ذكر الله عز وجل»(١)

وقال الامام ابن القيم: وفى الذكر أكثر من مائة فائدة نذكر منها

١- أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢- انه يرضى الرحمن عز وجل.

٣- انه يزيل الهم والغم عن القلب

٤- انه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٥- انه يقوى القلب والبدن.

٦- انه ينور الوجه والقلب

---

(١) رواه الامام احمد باسناد حسنوالترمذى وابن ماجه والحاكم: وقال صحيح الاسناد واليهقى عن ابن الدرداء. .

٧- انه يجلب الرزق.

٨- انه يكسو الذاكر المهابه والحلاوة والنضرة.

٩- انه يورث المحبة التى هى روح الاسلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة.

١٠- انه يورث المراقبة حتى يدخله فى باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر الى مقام الاحسان، كما لاسبيل للقاعد الى الوصول الى البيت.

١١- انه يورث الإنابة، وهى الرجوع الى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع اليه بذكره، او رثة ذلك رجوعه اليه فى كل احواله، فيبقى الله عز وجل ملجأه ومفزعه وملاذه ومعاذه، وقبله، ومهربه عند النوازل والبلايا... (١)

وقد اهتم قوم بالمفاضلة بين الذكر والدعاء.. والحقيقة ان الدعاء ماهو الا ذكر، والذكر والدعاء يتفقان فى استعمال اللسان، والحديث القدسى «انا مع عبدى حيثما ذكرنى وتحركت بى شفتاه»(٢) ولكنهما يختلفان فى أن الذكر قد يقبله الله وان لم يستحضر الذاكرمعناه، بل يكفيه ان لايقصد من الذاكر سواه، أما الدعاء فلا يستجاب إلا بحضور القلب للحديث «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه»(٣)

والذكر الكامل ما كان باللسان واستحضار المعنى، والدعاء الصحيح فيه هذا وزيادة، وهى اعلان الافتقار الى الله الملك الوهاب.

يقول ابن حجر العسقلانى(٤): الدعاء ذكر الله وزيادة، وكل حديث فى فضل الذكر يصدق عليه والله اعلم.

وذكر القرأن للتضرع فى آيه الدعاء والذكر دليل على أن التضرع لب الدعاء كما

---

(١) مختصرا عن «الوابل الصيب» لابن القيم فارجع اليه فانه يعينك على ذكر الله

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد عن أبى هريره.

(٣) رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة رضى الله عنه حسن.

(٤) بن حجر العسقلانى: من اعلام المحدثين والمرخين، ولد بالقاهرة وعاش بها حتى توفى عام ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م. وقد بلغت مؤلفاته المائة، من أشهرها فتح البارى يشرح صحيح البخارى، والاصابة فى تمييز الصحابة.

انه لب الذكر وروحهما النابض وقلبهما، وخص الدعاء بالخفية لما بيّناه سابقا من الفوائد سالفة الذكر، وخص الذكر بالخفية لحاجة الذكر الى الخوف لان الذكر يستلزم المحبة ويثمرها، والمحبة الخالية من الخوف لاتنفع صاحبها بل أحيانا تضره لأنها توجب الدلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الناس المغرورين الى استغنائهم بها عن الواجبات قائلين ان المقصود من العبادات انما هو عبادة القلب واقباله على الله، ومحبته له وتوحيده، فاذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل، لهذا نقول: بأن من سلك هذا الطريق انسلخ عن الاسلام والسبب فى ذلك هو خلو محبة العبد لمولاه عن الخوف، ولهذا قال بعض السلف ونسب مثله بتصرف فى اللفظ عن مكحول النسفى رحمه الله تعالى:

* من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق.

* ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى(١).

* ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ(٢).

* ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة فى قوله تعالى:

« أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محظورا»(٣).

فابتعاء الوسيلة المراد منه الحصول على محية الله تعالى الداعية الى القرب منه والتقرب اليه، ثم ذكرت الآية بعد المحبة الرجاء والخوف ـ قال رسول اللهﷺ «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»، وقال بعض الصالحين: لفظ الرب يوجب الرجاء، ولفظ التضرع والخفية يوجب الخوف فلما وقع الابتداء بما يوجب الرجاء علمنا ان واجب الرجاء أقوى.

وقال بعض المتصوفه: للمكاشفات مقامان:

* مكاشفة الجمال فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا

* ومكاشفة الجلال فاذا كوشفوا بالجلال طاشوا

---

(١) نسبة إلى طائفة من الخوارج.

(٢) وهى من الفرق الخارجة عن الله والتى تطلب الرجاء من غير عمل.

(٣) كتاب قوت القلوب: ص ٤٣٣.

آراء العلماء فى الرجاء والخوف[1]

معنى الرجاء: هو اسم لقوة الطمع فى الشىء

والخوف: اسم لقوة الحذَر من الشىء

آراء العلماء فى الرجاء

١- انشراح الصدر بأعمال البر، وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود.

٢- القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع، لما وقر فى القلوب من المخاوف.

٣- الأنس بالله تعالى فى الخلوات، ومن الأنس به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسه أهل الخير وسعة الصدر والروح عندهم.

٤- سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال، والمسارعة إليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرج بدركها.

٥- التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة ذى الجلال، وحسن الإصغاء إلى محاولة التقرب والتلطف فى التملق للحبيب.

٦-شدة الشوق الى ماشوق اليه الكريم وسرعة التنافس فى كل نفيس ندب اليه الرحيم.

---

(١) كتاب قوت القلوب: ص ٤٢٣.

obeikandl.com

٧- تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا بأخلاقه رجاء ثوابه وطمعا فى تنجيز وعده واتباعا لسنة رسوله ﷺ.

٨- ترك الاهواء الرديئة، والشهوات المطغية، ويحتسب فى ذلك على الله نفيس الذخائر العالية.

٩- افتعال الطاعات وحسن الموافقات، ينوى بها ويسأل مولاه الكريم العظيم الرغائب وجليل المواهب، لما وهب من حسن الظن به.

obeikandl.com

آراء العلما فى الخوف

الخشية حال من مقام الخوف، والخوف اسم لحقيقة التقوى، والتقوى معنى جامع للعبادة، وهى رحمة الله تعالى للاولين والاخرين ـ الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان وهو علم الوجود والاتقان وهو سبب اجتناب كل نهى ومفتاح كل أمر وليس شئ يحرق النفوس فيزيل اثار افاتها إلا مقام الخوف. قال ابو محمد سهل رحمه الله تعالى: كمال الإيمان بالعلم، وكمال العلم بالخوف وقال مرة: العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة والورع حال من الخوف والخوف من أسماء المعانى فوجوده بانتفاء ضده وهو الأمن وثمرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة فقد قيل انما يوزن من الاعمال خواتمها «وقيل اعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم.

و من المخاوف:

١- خوف النفاق.

٢- خوف سلب الايمان.

٣- خوف قطع المزيد من علم الإيمان.

٤- قال سهل الخوف مباينة للنهى والخشية الورع والاشفاق الزهد وقال دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم، ودخول الخوف على العالم يدعوه الى الزهد، ودخول الخوف على العامل يدعوه الى الإخلاص.

طبقات الخوف: الخوف اسم جاع لمقامات الخائفين وهو يشمل على خمس طبقات، فى كل طبقة ثلاث مقامات.

فالطبقة الاولى: هى التقوى ومقاماتها الثلاث هى المتقون والصالحون والعاملون.

والطبقة الثانية: هى الحذر ومقاماتها الثلاث هى الزاهدون والورعون والخاشعون.

والطبقة الثالثة: هى الخشية ومقاماتها الثلاث هى هى العاملون والعابدون والمحسنون

والطبقة الرابعة: هى الوجل ومقاماتها الثلاث هى الذاكرون والمخبتون والعارفون.

الطبقة الخامسة: هى الاشفاق ومقاماتها الثلاث هى الشهداء والمحبون وخصوص المقربين

وقال يحيى بن معاذ(١): من عبدالله تعالى بالخوف غرق فى بحار الاذكار، ومن عبده بالرجاء دون الخوف تاه فى مفاوز الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء معا استقام فى محجة الأذكار وذلك من طرائفه.

(١) يحى بن معاذ بن جعفر الرازى، واعظ زاهد، لم يكن له نظير فى وقته، أقام ببلخ، ومات فى نيسابور عام ٢٥٨هـ (الأعلام).

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

الأمر بالدعاء بأسمائه الحسنى

المبحث الأول

قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾(١).

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعا وتسعين اسما مائة الا واحدا، من احصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر، وهو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلى، الكبير، الحفيظ، المغيث الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولى، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحيى المميت، الحى، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الاخر، الظاهر، الباطن، الوالى، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والاكرام، المقسط، الجامع، الغنى، المغنى، المانع، الضار، النافع، النور، الهادى، البديع، الباقى، الوارث، الرشيد، الصبور»(٢)

هذا حديث البخارى ومسلم الى قوله: «يحب الوتر» ومابعده حديث حسن رواه الترمذى وغيره، ومعنى أحصاها: حفظها، هكذا فسره البخارى والاكثرون، ويؤيده فى رواية الصحيح «من حفظها دخل الجنة»، وقيل معناه: من عرف معانيها وآمن بها، وقيل معناه: من أطاقها بحسن الرعاية لها وتخلق بما يمكنه من العمل بمعانيها، والله أعلم.

---

(١) الاعراف: ١٨٠.

(٢) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى

وقد ذكرت جملة «ولله الاسماء الحسنى» فى القرآن الكريم أربع مرات فى أربع سور هى:

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ..﴾(١)

وقوله تعالى﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾(٤).

ويلاحظ فيها القصر البلاغى بالتقديم والتأخير فقد قصرت الأسماء الحسنى على الله تعالى بمعنى أنه لاتوجد أسماء حسنى غيرها، وبمعنى أنها خاصة بالله تعالى دون سواه، وهذا اخبار منه تعالى يصدقه البرهان العقلى ويقبله.. لأن الموجود قسمان

١- واجب الوجود لذاته وهو الله تعالى.

٢- وممكن الوجود لذاته وهو ماسوى الله تعالى، وكل ماهو ممكن الوجود لذاته محتاج فى ماهيته، وفى وجوده، وفى جميع صفاته الحقيقية والسلبية الى واجب الوجود لذاته، والا لبقى فى عدمه المحض وسلبه الصرف.

وتدل الآية على أن أسماء الله تعالى وصفاته ليست إلا له تعالى، وهذا يقتضى كونها موصوفة بالحسن والكمال، أما الالفاظ التى لايظهر فيها الحسن والكمال مثل الشيء والوجود والمذكور والذات والحقيقة والمعلوم فهذه الألفاظ وماشابهها ان قصد من إطلاقها على الله تعالى أنه تعالى فى نفسه ذات وحقيقة ومعلوم ومذكور وشيء وموجود فهذا امر جائز وان قصد بها النداء لايجوز لأننا لم نسمع أحدا من السلف نادى الله بها ودعا فقال: ياذات ياحقيقة يامعلوم. يقول ابن عربى(٥): «فكل اسم من أسماء الله تعالى دال على معنى معين. والاسم لايحسن إلا بدلالته على صفات

---

(١) الأعراف: ١٨٠.. (٢) الإسراء: ١٠٩.

(٣) طه: ٨ (٤) الحشر: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن الكريم لابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨هـ.

المدح، ونعوت الجلال: فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا فوجب جواز اطلاقه فى حق الله تعالى تمسكا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1].

كذلك تدل الآية على أن أسماء الله توقيفية أى يجب التوقف على الأسماء التى سمى الله بها نفسه، أو ذكرها رسوله الكريم،أو دل عليها الاجماع. وقال صاحب الجوهرة[2]

واختير أن أسماه توقيفية كذلك الصفات فاحفظ السمعية

وقال شارحها: ماحفظ الأسماء الثابتة بالسمع حقيقة كالواردة فى الكتاب والسنة، او الثابتة بالسمع حكما كالثابتة بالاجماع كالصانع والموجود والواجب الوجود والقديم. وما جاء عن رسول اللهﷺ أنه قال: «لاتقولوا الطبيب، ولكن قولوا الرفيق، فان الطبيب هو الله» ومعنى هذا أن المعالج للمريض من البشر، وان كان حاذقا مقدَّما فى صناعته، فانه لايقدم على معالجته إلا عاملا بالأغلب، فهو ربما يصيب، وربما يخطئ، فاسم الرفيق إذًا أولى به من اسم الطبيب، لأنه يرفق بالعليل فيحميه مما يخشى ألا يحمله بدنه، ويداويه.

أما الطبيب فهو العالم بحقيقة الداء والدواء، القادر على الصحة والشفاء وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغى أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه. ومع ذلك فان من آداب الدعاء أن يقال: اللهم انت المصح والمداوى والطبيب ونحو ذلك، ولا يقال: ياطبيب كما يقال يارحيم وياكريم.

ومن الأسماء الحسنى «الشافى» قال تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين»[3] وصح عن رسول الله ﷺ قوله «اللهم رب الناس أذهب البأس، اشف أنت الشافى، لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لايغادر سقما»[4]

---

(١) الاعراف: ١٨٠.

(٢) صاحب الجوهرة: هو ابراهيم اللقانى المالكى «المتوفى: ١٠٤١ هـ» وجوهرة التوحيد أرجوزة ألفها اللقانى فى علم التوحيد لها شروح وتلخيصات كثيرة.

(٣) الشعراء: ٨٠.

(٤) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبىﷺ يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول..».

ومن الأسماء البديعة « الحنان»، «المنان»، «الواقى».

قال تعالى: ﴿ .. مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾(٢)

أما قوله تعالى «فادعوه بها» فهو أمر من الله تعالى يظهر فيهالوجوب لا الندب أى على العبد إذا أراد أن يتصل بربه داعيا ومناجيا ومستغيثا أن يذكره بأسمائه الحسنى غير أن دعاء العبد ربه لابد وان يكون مسبوقا بعمله بوحدانيته، وكذا معرفته بتلك الأسماء الحسنى ومعانيها وثبوتها له تعالى، ثم أن لتلك الدعوة شواهد كثيرة مذكورة بالاستقصاء فى كتاب المنهاج لأبى عبدالله الحليمى(٣)، ولكن أحسن ما فيه من شرائط أن يكون الداعى مستحضرا لأمرين اثنين وهما:

١- عز الربوبية

٢- ذلة العبودية

وأما إدا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة.

ثم ختمت الآية بقوله تعالى: «وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون».

والإلحاد فى أسمائه، هو الميل بها عما شرعه الله، ويكون بواحد من ثلاثة: أحدهما: إطلاق أسمائه على غيره تعالى، كما اشتق الكفار أو ثانهم اللات من الله والعزى من العزيز، ومناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه الرحمن، وكذلك كل من جرى مجراهم، وسار على دربهم مخالف عقيدة التوحيد.

ثانيها: الزيادة فى أسمائه الحسنى، عما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله، كما يفعل بعض الجهلاء الذين يخترعون أدعية أو ذكرا يسمون فيه الله تعالى بغير أسمائه

---

(١) الرعد: ٣٧.

(٢) الطور: ٢٧.

(٣) الحليمى: هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الجرجانى فقيه شافعى كان رئيس أهل الحديث فى ما وراء النهر، وكتابه «المنهاج فى شعب الايمان»: توفى عام ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م.

المشروعه، وذكر الله بالسريانية أو بكهيعص أو غيرها مما لم يشرعه الله ورسوله، من هذا القبيل تماما. فلا ينبغى أن نسمح لأنفسنا بهذا اللون من الإلحاد فى أسمائه الشريفة.

ثالثها: النقص فى أسمائه تعالى، بحذف ما علم أنه منها بالكتاب أو السنه.

غير أنه ينبغى الاشارة إلى مايلى: لايلزم من اطلاق اسم على الله تعالى جواز إطلاق جميع مايشتق منه. فلفظ علم ورد فى حق الله تعالى فى آيات كثيرة منها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾(١)، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾(٢) ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(٣)، ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾(٤)

غير أنه لايجوز أن نقول فى حق الله تعالى: يا معلم يامحب كما لا يجوز أن يقال فى حق آدم عليه السلام أنه كان عاصيا غاويا!

كما لايجوز أن يقال فى حق موسى عليه السلام أنه كان أجيرا وإنما يقتصر فى ذلك على الوارد فقط.

ويعلمنا رسول الله ﷺ كيفية الدعاء بأسمائه الحسنى فى قوله «الظوابيا ذا الجلال والاكرام»(٥)

وكان رسول الله ﷺ يستفتح دعاءه: «سبحان ربى العلى الأعلى والوهاب»(٦).

وقال النبى ﷺ: «الزموا هذا الدعاء اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر فإنه اسم من أسمائه»(٧).

قال الإمام ابن كثير: «ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصره فى تسعة وتسعين بدليل مارواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول

---

(١) البقرة: ٣١. (٢) النساء: ١١٣.
(٣) الكهف: ٦٥. (٤) الرحمن: ١.
(٥) رواه الترمذى عن أنس، الظو أى ألحو.
(٦) رواه احمد والحاكم عن مسلمة بن الأكوع.
(٧) رواه الطبرانى عن حمزة بن عبدالمطلب.

الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولاحزن فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فى حكمك، عدل فى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا قالوا يارسول الله: ينبغى لنا ان نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن[1]

واخرج أبو حاتم بن حبان البستى فى صحيحه بمثله، وهو حديث صحيح، وينبغى أن يقوله المسلم إذا أصابه هم أو حزن.

(١) رواه احمد ١/ ٤٥٢ وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود وصححة جمع من الائمة.

obeikandl.com

المبحث الثانى

معنى أسماء الله الحسنى مختصرا

آثرنا هنا أن نذكر أسماء الله الحسنى مع إيضاح بسيط لمعانيها حتى تتم الفائدة من فضله. للذاكر لها، وللسائل ربه بها، فاللسان ينطق بالاسم، والقلب يستحضر المعنى، وذلك فيه خير كثير.

الله: علم على إلا له المعبود بحق، وهو الاسم العظيم الجامع لجميع صفات الكمال الإلهية، وهو دال على الذات الجامعة لجميع معانى أسمائه الحسنى، فهو أكبر الأسماء وأجمعها للمعانى، وأى اسم بعد ذلك يدل على معناه تطابقا، ويدل على باقى الأسماء التزاما.

والذى لا إله إلا هو[1] صفته. قال تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[2]

وقد ذكر الاسم «الله» سبحانه وتعالى ألفين وستمائة وتسعة وتسعين مرة فى القرآن، وزيادة ذكر «الله» مرة فى بسم الله الرحيم باعتبار البسملة آية فى فاتحة الكتاب.

الرحمن: من الأسماء الحسنى مختص بالله سبحانه لايجوز أن يسمى به غيره وهو يجرى مجرى الصفة له تعالى، نحو «بسم الله الرحمن الرحيم» وقد يذكر موصوفا، كما قال الله ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[3]

والرحمن هو الاسم الدال على أن الرحمة قائمة به سبحانه وتعالى، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لاغاية بعدها فى الرحمة، والتى لانظير له فيها، ولذلك لايثنى ولايجمع.

---

(١) لفظ هو ليس من أسماء الله عند الجمهور، ونقل الخطيب الرازى انه اسم فى غاية الشرف والجلال له سبحانه وتعالى وان لم يكن من الأسماء الحسنى التسعة والتسعين قال ذلك الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية السابق رحمة الله فى كتابه «أسماء الله الحسنى».

(٢) محمد: ١٩

(٣) طه: ٥

والرحمن صيغة تعظيم من الرحمة كالرحيم. لكن الرحمن من زيادة المعنى وأكبر تعظيما، لان صيغة الرحمن تتناول جلائل النعم وعامها وأصولها.

واسم الرحمن قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم وان كان اسم الرحمن مشتقا من الرحمة، أى أن الرحمن اسم وصفة لاينافى أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالامرين جميعا.

ولم أر اسما من اسماء الله الحسنى حل محل اسم الجلالة، فى القرآن الكريم، أكثر من هذا الاسم، وذكر اسم الرحمن سبعا وخمسين مرة فى الكتاب الكريم.

قال الحليمى رحمه الله فى معنى الرحمن أنه المزيح للعلل.

وفى الحديث الشريف، قال رسول اللهﷺ «يقول الله عز وجل: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها فطعته»(١).

قال الخطابى(٢) رحمه الله: فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم، وأسباب معايشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح.

وذهب الإمام أبو حامد بن محمد الغزالى الطوسى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، إلى أن اسم «الرحمن» قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم، وإن كان مشتقا من الرحمة قطعا، فبالأحرى أن يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة أبعد من مقدورات العباد، فالرحمن هو العطوف على العباد:

(أولا): بالايجاد.

(ثانيا): بالهداية إلى الايمان وأسباب السعادة.

(ثالثا): بالإسعاد فى الآخرة.

(رابعا): بالنظر الى وجهه الكريم.

---

(١) الخطابى: هو أبو إسلام البستى، أحد كبار الفقهاء فى القرن الرابع الهجرى. توفى عام ٣٨٨هـ.

(٢) رواهالبيهقى عن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه.

والرحمن هو الخالق الذى يريد الخير لعباده فأنعم علينا بكتابه المبين ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾(١)

الرحيم: من أسماء الله تعالى، وهو مشتق من الرحمة. . ومعنى الرحمة تخليص من رحمهم الله من الضر والضلال، والانعام عليهم بالهدى والمغفرة والإيمان. والرحيم على وزن فعيل بمعنى فاعل أى راحم وبناء فعيل للمبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير، أى أن الرحيم صيغة تعظيم من الرحمة، ويقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾(٢) اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الذى إذا استرحمت به رحمت».

وقد ذكر اسم «الرحيم سبحانه مائة واربع عشرة مرة بعدد سور القرآن العظيم.

الملك: صاحب الملك، ولاسلطان فيه لغيره قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾(٣).

واليد مجاز عن القدرة والاحاطة والملك: فالذى يملك السمع والأبصار والأفئدة والموت والحياة والنشور والشفاعة والرحمة والرزق، هو الله، ونحن لا نملك مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض. من أجل ذلك فلا مُلْك إلا لله، ولامَلِك إلا الله، مالك المُلْك لاشريك له. . وفى روعة دعاء عرفه يلبى حجاج بيته الكريم ومعهم كل المسلمين فى أنحاء المعمورة.

لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. . ذُكر الملك فى بضع آيات من القرآن (٦ مرات).

القدوس: سبحانه هو الطاهر المنزه عن كل صفة لاتليق به (ذكر مرتين)

قالت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه «سبوح قدوس رب الملائكة والروح».

---

(١) الرحمن: ١- ٣

(٢) لاحزاب: ٤٣.

(٣) الملك: ١.

السلام: الذى سلم من كل نقص، يهب السلام لعباده. وكان رسول الله ﷺ اذا أراد أن ينصرف من صلاته استغفر ثلاث مرات ثم قال «اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام..».

اللهم انت السلام ومنك السلام، واليك يرجع السلام فحينا ربنا بالسلام، وادخلنا دارك دار السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام.

المؤمن: المصدق رسله، ويصدق عباده وعده، ويؤمنهم من عذاب النار.

المهيمن: سبحان المهيمن بعلمه، وكمال قدرته على كل شيء، والمهيمن هو الرقيب على كل شيء، وهو الحافظ لكل شيء، والخاضع لسلطانه كل شيء وهو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم. والمهيمن هو الشاهد المطلع على أفعال مخلوقاته قال أهل اللغة: الهيمنة: القيام على الشيء والرعاية له، والمهيمن: الشاهد وهو من أمن غيره من الخوف، وقيل المهيمن: هو الشهيد لنفسه بالوحدانية.. قال أبو سليمان: فالله عز وجل المهيمن أى الشاهد على خلقه بما يكون منم من قول وفعل، فسبحانه المهيمن الذى لايغيب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وقد ذكر الاسم المحيط «المهيمن» مرة واحدة فى الكتاب المبين.

العزيز: ذو العزة أى القوة فلا يغلبه أحد، والكل محتاج إليه، وقد ذكر (٨٨) مرة فى القرآن الكريم.

الجبار: قهر الكل على مايريد، المصلح لجميع خلقه، والجبار هو العالى الذى لاينال، قال ابن الأنبارى: الجبار فى صفة الله تعالى الذى لاينال، ومنه قيل للنخلة التى فاتت يد المتناول جبارة فسبحان الجبار الذى لاتصل العقول إلى الإحاطة بجلاله. وقال ابن عباس: الجبار هو الملك العظيم وقد ذكر «الجبار المتكبر» سبحانه مرة واحدة فى الكتاب العزيز.

المتكبر: من الكبرياء الذى هو العظمة، والعظمة والكبرياء لله. جاء فى الحديث الصحيح عن رب العزة: «الكبرياء ردائى، والعظمة ازارى، فمن نازعنى فى احداهما قصمته» أى أهلكته».

الخالق: موجد الأشياء على مقتضى حكمته وإرادته.

البارئ: جعل كل شيء خلقه على غير مثال وله ما يميزه عن غيره. ذكر البارئ تعالى مرتين فى القرآن الكريم.

المصور: صور الموجودات على صور مختلفة حسب الحكمة والمصلحة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(١)

الغفار: كثير المغفرة لذنوب عباده أو يتجاوز عن عقوبتها. والغفور والغفران فى اللغة معناهما الستر فسبحان الغفار الذى أظهر الجميل وستر القبيح.

والذنوب من جملة القبائح التى سترها الله تعالى، وذلك لأن الله تعالى هو الذى يستر الذنوب. جاء فى كتاب الأسماء والصفات عن هذا الاسم الكريم: الغفار هو المبالغ فى الستر فلا يشهر الذنب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. وقيل لصحابى: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى «النجوى يوم القيامة»؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان الله عز وجل يدنى من المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا؟ اتعرف ذنب كذا؟ حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك، قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.

قال: فيعطى كتاب حسناته: هذا للمؤمنين أما الكفار والمنافقون فلهم شأن آخر وقد ذكر اسم «الغفار فى التنزيل الحكيم «خمس مرات».

القهار: القاهر فوق مخلوقاته، الغالب على أمره «ذكر ٦ مرات فى القرآن الكريم»

الوهاب: كثير العطايا دون مقابل، والهبة: العطية الخالية من العوض والغرض، فاذا كثرت سمى صاحبها وهابا، ولا يكون حقيقة إلا الله تعالى. ويقال للمولود له: شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب. ويقال: اللهم هب لى الحق هو الذى يملك مايعطى، ولا مالك فى الواقع سوى الله. وقد ذكر الوهاب سبحانه ثلاث مرات فى الكتاب الحكيم.

---

(١) آل عمران: ٦.

الرزاق: خلق للأرواح والأبدان أرزاقها وَتفضَّل بإيصالها، وسبب أسبابها. والرزاق هو الذى خلق الرزق، والمرزوق وخلق أسباب التمتع بهذا الرزق، والرزق على قسمين:

١- ظاهر للأبدان كالأطعمة.

٢- باطن للقلوب كالعلم، وهو سبحانه خالق الرزقين. روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: «أمر الرزق بطلبك، وأمرت بطلب الجنة». اللهم يارزاق انا نسألك رضاك والجنة، فلاعيش إلا عيش الآخرة. قال القشيرى: من عرف أن الله هو الرزاق، أفردة بالقصد اليه. وقد ذكر الرزاق، سبحانه وتعالى مرة واحدة فى القرآن الكريم.

الفتاح: يفتح خزائن رحمته على عباده، وقيل بمعنى «الحاكم بين الخلائق».

العليم: يحيط علمه بكل معلوم وقد ذكر ١٥٤ مرة فى كتاب الله الكريم.

القابض: يمسك الرزق على من يشاء، وبيده زمام كل شىء.

الباسط: الذى يوسع على من يشاء. قال تعالى ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[1].

الخافض: الذى يخفض درجات من يشاء حقا وعدلا.

الرافع: الذى يرفع درجات من يشاء حقا وعدلا.

المعز: يعز أولياءه بعز طاعته، ويجعل من يشاء عزيزا.

المذل: يذل من يشاء، ويذل أولياء الشيطان.

السميع: المدرك لكل مسموع، لايشغله نداء عن نداء بكل اللغات. وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الأربع: من علم لاينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعاء لايسمع» وقد ذكر «السميع» خمسا وأربعين

---

(١) الرعد: ٢٦.

مرة فى الكتاب العربى المبين، فهو السميع العليم، وهو السميع البصير، وهو سميع الدعاء وهو سميع قريب.

البصير: يبصر ما فى السموات والأرض ومابينهما وما تحت الثرى، وقد ذكر «البصير» سبحانه واحد واربعين مرة فى كتاب الله العزيز.

الحكم: الذى يحكم بين عباده ويبين لكل نفس ما عملت من خير وشر وقيل فى معنى الحكم: هو الذى حكم على القلوب بالرضا وعلى النفوس بالانقياد والطاعة. وقد ذكر «الحكم» سبحانه مرة واحدة فى الذكر الحكيم.

العدل: سبحان الله الحكم العدل، والعدل فى اللغة مصدر أقيم مقام الاسم للزيادة، أى البالغ فى العدل، أى الذى لايظلم أحدا. فسبحان الكريم العفو ذى العدل، الذى قد ملأ كل شىء عدله

اللطيف: العليم بدقائق الأمور، الذى لطفت أفعاله، لاتدركه الحواس. وقيل عن اللطيف هو البر بعباده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لايحتسبون.

الخبير: العالم العارف ببواطن الأمور وحقائقها، ولايخفى عليه شىء. وقد ذكر «الخبير» تعالى خمسا وأربعين مرة فى الكتاب الكريم.

الحليم: سبحان الحليم ذى الصفح والأناة، الذى لايحبس أنعامه، وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه يرزق العاصى كما يرزق المطيع، ولا يستفزه الغضب فيعجل بالعقوبة أو الانتقام.. وكيف يعجل من لايخاف الفوت؟!

وسبحان الله الحليم الذى يمهل العاصى فان تاب قبل توبته، وان أصَّر أخَّر العقاب عنه لعلمه، تعالى، انه لايخرج من ملكوته. وهذا دعاء للأنابة: «يا من عصمت المعصومين، ويا من حفظت المحفوظين، ويا من أصلحت الصالحين، إن عصمتنى تجدنى معصوما، وإن أهملتنى تجدنى مخذولا، ناصيتى بيدك يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك». وقد ذكر «الحليم» سبحانه احدى عشرة مرة فى الكتاب العربى المبين.

العظيم: الذى لاحدود لعظمة شأنه وجلاله. وقد ذكر «العظيم» تعالى ست مرات فى القرآن الكريم.

الغفور: أى كثير المغفرة. عن أبى بكرالصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال لرسول الله ﷺ «علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى» قال: قل: «اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا،ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم». وقد ذكر الاسم الكريم (٩١) مرة فى القرآن.

الشكور: يثنى على الطائحين ويقبل أعمالهم ويثيبهم عليها، فسبحانه كثير الثناء، الذى يجازى بيسير الطاعات كثير الدرجات، وسبحان الذى يعطى بالعمل فى أيام معدودة، نعيما فى الآرة غير محدود. وقد ذكر الاسم الكريم (٤) مرات فى القرآن.

العلى:البالغ الغاية فى علو المرتبة، القادر المتصرف فى خلقه، فسبحانه العالى علو الجلال والكمال. قال الحليمى فى معنى العلى «إنه الذى ليس فوقه فيما يجب له من معالى الجلال أحد، ولا معه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه، لكنه العلى بالاطلاق» وجاء فى كتاب الأسماء والصفات أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به، سمع تسبيحا فى السموات العلى: «سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى» وكان النبى ﷺ يستفتح دعاءه «بسبحان الأعلى الوهاب». ذكر الاسم الكريم ثمان مرات فى القرآن.

الكبير: الموصوف بالجلال وكبر الشأن وليس كمثله شىء. ذكر خمس مرات فى القرآن.

الحفيظ: الحافظ لما يريد حفظه (بمعنى ضد السهو او بمعنى الحراسة) والحفظ معناه صون الشىءمن الزوال. وقد ذكر الاسم الكريم «الحفيظ» ثلاث مرات فى القرآن.

المقيت: قيل فى معنى المقيت: أى خالق الأقوات البدنية والروحانية، وموصلها الى الأشباح والأرواح. وقال الأزهرى: المقيت هو المقتدر بلغة قريش. وقد ذكر «المقيت» تعالى مرة واحدة فى القرآن العزيز.

الحسيب: الكافى أو المحاسب على الأعمال. ذكر الحسيب سبحانه ٣ مرات فى القرآن.

الجليل: المنعوت بنعوت الجلال والكمال والعظمة.

الكريم: يبدأ بالعطاء ، ويعفو عن مقدره. قال رسول الله ﷺ «ان ربكم عز وجل حيِّى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفرا». وقال ﷺ «إن الله عز اسمه كريم، يحب مكار الأخلاق ويبغض سفاسفها». قال أهل اللغة فى معنى الكريم: أنه «النفاح» نسأله تعالى أن ينفحنا نفحة خير إنه على كل شىء قدير. وقد ذكر الكريم المطلق الذى لايضيع من لاذ به والتجأ إليه مرتين فى القرآن الكريم.

الرقيب: حافظ لايغفل ولا يغيب عنه شىء. ذكر الاسم الكريم ثلاث مرات فى القرآن

المجيب: يجيب من دعاه وقد ذكر «المجيب» تعالى فى قوله الكريم ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾(١).

الواسع: واسع الرحمة كثير العطاء. وقد ذكر الواسع العليم سبع مرات فى القرآن.

الحكيم: ذو الحكمة البالغة أو العظيم فى حكمته لأن الحكيم صيغة تعظيم لذى الحكمة وقيل إن الحكمة هى العلم مع العمل والعدل. وقيل هى مجموعة معانى من العدل والتنظيم والتقويم والعلم. وقد ذكر «الحكيم» سبحانه واحد وتسعون فى مجموع سور القرآن الكريم.

الودود: يحب أولياءه ويحبونه من الود وهو الحب. وهنا مكان هذا الدعاء ومن الله الاجابة «يا ودود يا ذا العرش المجيد، ، يا مبدئ يا معيد، يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التى وسعت كل شىء، لا إله إلا أنت، يامغيث أغثنى» وقد ذكر الودود سبحانه مرتين فى القرآن الكريم.

المجيد: العظيم فى ذاته، الجميل فى أفعاله، الكريم فى عطائه. وقد ذكر المجيد

---

(١) هود: ٦١.

ثعالى مرة واحدة فى القرآن المجيد. قال تعالى:﴿ .. رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾(١)

الباعث: . . للرسل. . للموتى من القبور. . للهمم الى معالى الأمور.

الشهيد: لايغيب عنه شيء من الأمور الظاهرة. وقيل الشهيد مبالغة فى الشاهد والشهادة ترجع الى العلم مع الحضور. وقد ذكر «الشهيد» سبحانه (١٩) مرة فى القرآن العظيم.

الحق: المتحقق الثابت وجوده فلا يفكره أحد، أو المظهر للحق. ذكر الحق تعالى ست مرات فى القرآن الكريم.

الوكيل: سبحانه الكافى لمن توكل عليه، القائم بأمور العباد. وهو الذى من استغنى به أغناه عما سواه، وهو المتصرف فى الأمور على حسب إرادته، وهو سبحانه الموكول إليه تدبير أمر كل شيء. وقد ذكر «الوكيل» سبحانه ثلاث عشرة مرة فى الكتاب الحكيم.

القوى: التام القدرة والقوة فلا يعجزه أمر بحال، ذى القوة المتين، والقوة لله جميعا، ولا قوة إلا بالله، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وقد ذكر «القوى» سبحانه تسع مرات فى القرآن الكريم.

المتين: مبالغة فى معنى القوة فلا تلحقه فى أفعاله مشقة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى «المتين» يقول «الشديد». وقد ذكر «المتين سبحانه مرة واحدة فى الكتاب المبين.

الولى: المتولى لأمور الخلائق الناصر لعباده وقد ذكر الاسم الكريم ثلاث عشرة مرة فى القرآن.

الحميد: استحق الحمد لجلال ذاته وعلو صفاته وجميل أفعاله. وقيل فى معنى الحميد سبحانه هو الذى يوفقك للخيرات، ويحمدك عليها، ويمحو عنك السيئات،

---

(١) هود: ٧٣.

وقد ذكر «الحميد» تعالى (١٧) مرة فى القرآن المجيد.

المحصى: أحصى كل شىء بعلمه عددا فسبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه، وسبحان المحيط بكل شىء جملة وتفصيلا، وسبحان العالم خفيات الأمور ومحصيها.

المبدى: الذى خلق الأشياء واخترعها ابتداء من العدم.

المعيد: يعيد الخلق بعد الحياة الى الممات، وبعد الممات الى الحياة.

المحيى: يعطى الحياة للأجساد بايجاد الروح فيها.

المميت: لمن أراد من خلقه بنزع الروح منه.

الحى: الدائم الحياة أبداً فلا بداية له ولا نهاية له.

القيوم: القائم بأمور خلقه، المعطى لكل شىء مابه قوامه

الواجد: الغنى المستغنى عن غيره. الذى يجد كل مايريده.

الماجد: بمعنى المجيد كقادر وقدير سبحان الذى تعطَّف بالمجد وتكرم به.

الواحد: لا ثانى له ولاقرين، ولاشريك له فى الألوهية والربوبية أى أن «الواحد» هو الفرد المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله. وقد ذكر «الواحد» تعالى واحد وعشرون مرة فى القرآن العظيم.

الصمد: الذى يصمد الخلق إليه فى حوائجهم أى يقصدونه لقدرته وقيل الصمد الذى أصمدت إليه الأمور فلا يقضى فيها غيره ولا يقضى دونه. وقد ذكر «الصمد» مرة واحدة فى القرآن.

القادر: ذو القدرة التامة على مايريده جاء فى صحيح البخارى[١] الجامع: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ**﴾[٢] قال رسول

(١) صحيح البخارى: جـ٦ ص ٧١.
(٢) الانعام: ٦٥.

الله ﷺ «أعوذ بوجهك» وقد ذكر «القادر» سبحانة وتعالى: سبع مرات فى كتاب الله الكريم.

المقتدر: مبالغة من القادر. المتولى على كل ذى قدرة.

المقدم والمؤخر: يقدم من شاء من عباده أو يبعده، وبمعنى الذى يقدم الأشياء، ويؤخرها، كل حسب زمانه ومكانه. فسبحان المقدم والمؤخر لما شاء، كما شاء بحكمته. وكان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت به أعلم منى، اللهم أغفر لى خطاياى وعمدى وجهلى وجدى وهزلى وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، انت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير».

الأول: القديم الازلى السابق للأشياء كلها بلا بداية.

الآخر: الباقى الأبدى بعد الأشياء جميعها. فسبحان رب الآخرة والأولى.

الظاهر: بآياته ومصنوعاته، الذى ظهر فوق كل شىء وعلاه، والظاهر هو الغالب العالى، فهو الظاهر بحججه الباهرة وبراهينة النيرة، وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته.

الباطن: سبحان الباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول، وسبحان من احتجب عن إدراك الحواس مع شدةظهوره، وكمال نوره، وسبحان من ليس له شبيه ولاضرر، وسبحان الباطن على كل شىء رحمة وعلما. وسبحان الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وما لنا من دون الله من ولى ولانصير.

الولى: المالك لأمور خلقه المتصرف فيها.

المتعالى: البالغ فى العفو عن كل نقيصة جل وعلا، المتعالى بوجوب وجوده، رفيع الدرجات ذو العرش. قال رسول الله ﷺ: «بئس عبد تخيّل واختال، ونسى الكبير المتعال»، ذكر الاسم الكريم مرة واحدة فى القرآن.

البَّر: يجود بالخير والثواب. لايمنع عصيانه من إحسانه، والبر: بفتح الباء معناه فاعل البر بكسرها، أى الاحسان وهى كلمة جامعة لكل صفات الخير، وهو من أسماء الله تعالى، ويجوز أن يكون البر الكثير الطاعة، وفى هذا يكون البر اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله، واسم جامع لرضى الخصال ولكل فعل مرضى. وطاعة الله سبحانه هى عبادته تعالى، وبر الوالدين: التوسع فى الاحسان اليهما، والجنة تحت أقدام الأمهات.

التواب: قابل التوب غافر الذنب وقد ذكر «التواب» سبحانه (١١) مرة فى القرآن الكريم.

المنتقم: اذا سخط ذو انتقام بالعقوبة فسبحان الذى نخشى نقمته لقدرته وعظمته، والذى ندعوه، تعالى خوفا وطمعا، وهو الذى نرجو رحمته.

العفو: الذى يمحو الذنوب ويتجاوز عن السيئات، وقيل معنى العفو الذى يعطى الكثير، ويهب الجزيل. وقد ذكر «العفو» سبحانه خمس مرات فى القرآن الكريم.

الرءوف: ذو الرحمة البالغة سبحان ربى الرءوف الرحيم، ذو الرحمة البالغة الذى كلف الثرى بما لم يكلف به المسكين، وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر، وخفف الفرائض فى حال الضعف، والحمد لله الذى يحب أن تؤتى رخصة، كما يحب أن تؤتى عزائمه. قد ذكر «الرءوف» سبحانه عشر مرات فى الكتاب الكريم.

مالك الملك: يفعل فى ملكه ما يشاء لايشاركه فيه أحد. وقد ذكر مالك الملك سبحانه مرة واحدة فى الكتاب العزيز.

ذو الجلال والاكرام: المنفرد بالجلال والكمال ولا مكرمة إلا منه. وقد ذكر «ذو الجلال والاكرام» مرتين فى القرآن الكريم.

المقسط: سبحان المقسط، القائم بالقسط، المقيم للعدل، العادل فى حكمه.

الجامع: سبحان الذى جمع الكمالات كلها ذاتا، ووصفا وفعلا، فليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، ولا كفعله فعل، وسبحان جامع الناس ليوم لاريب فيه

وسبحان الجامع الذى جمع بين قلوب الأحباب، وألف بين القلوب.

الغنى: المستغنى عن غيره والكل فقير إليه. وقيل فى معنى «الغنى» أنه الكامل بماله وبما عنده، فلا يحتاج معه إلى غيره. والفقير ما سوى الله تعالى، وهو سبحانه الغنى عن العالمين. قال رسول الله ﷺ «ليس الغنى عن كثرة الغرض ولكن الغنى غنى النفس».

فغنى النفوس هو العفاف فإن أبت فجميع ما فى الأرض لايكفيها

وأعلى درجة الغنى، الاكتفاء بالموجود، فلاغنى إلا غنى النفس، وقد يكون الانسان فقيراً جداً، وعند الناس متجملا غنيا. قال تعالى ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[1] فسبحان الذى يعطى من يشاء ويكفيه، ثم اذا شاء يرضيه. وقد ذكر «الغنى» ثمان عشرة مرة فى الكتاب الكريم.

المغنى: يعطى من يشاء فيغنيه عن غيره.

المانع: سبحان الذى يمنع البلاء حفظا وعناية، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية، وسبحان الذى يعطى الدنيا لمن يحب، ولمن لايحب، ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب، وهو الذى ينصر أولياءه من المنعة.

الضار: ينزل الضر بمن عصاه «بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم».

النافع: ينفع من والاه بالطاعة.. فسبحان الذى يصيب من يشاء من عباده برحمته، وهو الذى يملك الضر والنفع وهو على كل شىء قدير.

النور: الظاهر بنفسه، المظهر لغيره. فسبحان الذى نور قلوب الصادقين بتوحيده، وسبحان الذى نور السماء والأرض بما خلق فيهما من الأنوار قال ابن عباس: «النور» الهادى الرشيد الذى يرشد بهدايته من يشاء. فيبين له الحق ويلهمه اتباعه وقال

---

(١) البقرة : ٢٧٣.

الحليمى: « هو الهادى لايعلم العباد الا ماعلَّمهم، ولايدركون الا مايسَّر لهم إدراكه، فالحواس والعقل فطرته وخلقه وعطيته».

سأل ابن عباس النبى ﷺ «هل رأيت ربك ليلة أسرى بك؟ قال: نعم، نور أنى أراه وما يعلم تأويله إلا الله. . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

الهادى: الذى يهدى القلوب إلى الصراط المستقيم.

البديع: لامثيل له، المبدع لخلقه على غير مثال.

الباقى: الدائم الوجود فهو الأول بغير ابتداء والآخر بلا انتهاء.

الوارث: الباقى بعد فناء الخلائق.

الرشيد: تدبيره فى غاية الصواب المرشد لغيره الى مافيه صالحه. قال الحليمى رحمه الله: «الرشيد» هو المرشد سبحانه، ومعناه الدال على المصالح والداعى اليها وهذا من قوله تعالى ﴿**وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾(١).

فسبحان ربى الرشيد المرشد ملهم الرشد لأهل طاعته، وهو الذى أرشد الخلائق الى هدايته، ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد.

الصبور: لايعاجل من عصاه بالعقوبة. وقد يكون معناه ملهم الصبر لجميع خلقه وفى اللغة: الصبر هو حبس النفس عن الجزع قال الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾(٢).

---

(١) الكهف: ١٠.

(٢) الكهف: ٢٨.

المبحث الثالث

اللهم[1] هذه أسمائك الحسنى فبها ندعوك

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

يارحمن يارحيم، ويامليك وياقدوس، وياسلام ويامؤمن يا الله يامهيمن ياعزيز ياجبار، يامتكبر ياخالق يابارئ يا الله يامصور وياغفار ياقهار ياوهاب يارزاق يافتاح يا الله ياعليم وياقابض ياباسط ياخافض يارافع يامعز يامذل يا الله ياسميع يابصير ياحكيم، وياعدل يالطيف ياخبير ياحليم يا الله ياعظيم ياغفور ياشكور ياعلى ياكبير ياحفيظ يا الله يامقيت وياحسيب وياجليل ياكريم ويارقيب يا الله يامجيب ياواسع ياالحكم ياودود ياحميد يامجيد ياباعث يا الله ياحق وياشهيد ياقوى ياولى ياوكيل يامتين يامحصى يا الله يامبدئ يامعيد يامحيى يامميت ياحى ياقيوم يا الله ياواحد

---

(١) كلمة تُستعمل فى الثناء مثل يا الله زيدت الميم للتعظيم والتفخيم كزيادتها فى زرقم لشديد الزرقة، وابنم فى ابن ـ وقال آخرون: الميم للجمع، فمثلا السلام عليك والسلام عليكم، ولأن الله لايجمع ـ جل جلاله ـ بل هو الجامع، كانت الميم فى «اللهم» تجمع جميع أسمائه. وقال الحسن البصرى: اللهم مجمع الدعاء. وقال النضر بن شميل*: من قال اللهم فقد دعا بجميع أسماءه. وقال أبو رجاد العطاردى**: ان الميم فى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى.

* النضر بن شميل: بن خرشة المازنى التميمى أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث له كتاب الصفات وهو فى صفات الانسان والبيوت والجمال والزروع وغيرها توفى بمرو عام ٢٠٣ هـ/ ٨١٩م.

** أبو رجاء العطاردى: هو احمد بن عبد الجبار، فاضل من أهل الكوفة، كان يروى مغازى ابن اسحاق، ومن طريقة سمعها المؤر ابن الأثير/ توفى بالكوفة عام ٢٧٢ هـ.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) الحشر: ٢٣، ٢٤.

ياماجد ياأحد ياصمد ياقادر يامقتدر يا الله يامقدم يامؤخر ويأول ويا آخر ويا ظاهر ويا باطن يا الله يامتعالى يابر ياتواب يامنعم ياالله.

ياعفو ويارؤوف ويامالك الملك ويامنتقم يارب يامقسط يا الله ياجامع ياغنى ويامغنى ويامعطى ويامانع ويا ضار يانافع يا الله يانور وياهادى ويابديع ياوارث يارشيد ياصبور ياالله ياصادق وياستار يا الله أنت الله لا إله إلا أنت الله. أنت الله، أنت الله لك الملك ولك الحمد ولك الثناء الحسن.

اللهم هذه أسماؤك الحسنى فبها نتوسل إليك ونسألك أن تعز الإسلام والمسلمين. وتذل الشرك والمشركين اللهم من أراد بالمسلمين سوءا فاجعل دائرة السوء تدور عليه واجعل كيده فى نحره وأشغله بنفسه.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين إخوانا واجمعهم على طاعتك أعوانا ولا تسلط عليهم بذنوبهم من لايخافك ولايرحمهم.

اللهم أكرمنا ولاتهنا. وأعطنا ولاتحرمنا. وانصرنا ولاتنصر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا وانصرنا على من عادانا واجعل ثأرنا على من ظلمنا ولاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا.

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولامضلين، سلما لأوليائك وحربا لاعدائك، نحب بحبك من أحبك ونعادى بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان وأنت الرحيم الرحمن الحليم الحنان المنان.

اللهم اجعل لنا نورا فى قلوبنا،و نورا فى قبورنا، ونورا من بين أيدينا ونورا من خلفنا، ونورا عن أيماننا، ونورا عن شمائلنا، ونورا من فوقنا، ونورا من تحتنا، ونورا فى أسماعنا، ونورا فى أبصارنا، ونورا فى شعرنا وبشرنا، ونورا فى لحمنا ودمنا وعظامنا. اللهم أعظم لنا نورا وأعطنا نورا، واجعل لنا نورا وزدنا نورا. وأنت سبحانك نور السموات والأرض وقيوم السموات والأرض، وبديع السموات والأرض سبحانك ياعظيم ويا رب كريم خلقت الظلمات والنور.

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به، سبحان الذى لاينبغى التسبيح إلا له، سبحان من أحصى كل شىء بعلمه، سبحان ذى المجد والكرم، سبحان ذى الاجلال والإكرام، سبحان من بيده ملكوت كل شىء، سبحان القدير على كل شىء، سبحان العليم بكل شىء، سبحان المقدر لكل شىء، سبحان المحصى لكل شىء، سبحن من له الملك والملكوت والعزة والجبروت، سبحان من له ما فى السماوات وما فى الأرض وما تحت الثرى، سبحان من له جنود السماوات والأرض ولا يعلم جنوده إلا هو ولا بعلم عظمته إلا هو، ولا منتهى لعظمته، ولا منتهى لقدرته لا إله الا هوعليه توكلت وإليه أنيب، له الاسماء الحسنى وله اختلاف الليل والنهار، بيده الخير وهو بكل شىء محيط وعلى كل شىء قدير.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبى الرحمة وهادى الأمة سيدنا محمد وعلى آلة وأصحابه وأزواجه وذرياته آجمعين.

obeikandl.com

المبحث الرابع

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾(١).

« قل ادعو الله أو ادعو الرحمن» أى نادو ربكم الجليل باسم «الله» أو باسم «الرحمن» أياما ماتدعو فله الأسماء الحسنى» أى بأى هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن لأن أسماءه جميعها حسنى وهذان منها، قال المفسرون: سببها أن الكفار سمعوا النبى ﷺ يدعو (يا الله، يارحمن) فقالوا ان كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وها هو يدعو إلهين، فنزلت الآية مبينة أنهما لمسمى واحد «ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها» أى لاتجهر يا محمد بقراءتك فى الصلاة فيسمعك المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله، ولا تسرّ بقراءتك بحيث لاتسمع من خلفك من أصحابك «وابتغ بين ذلك سبيلا» أى أقصد طريقا وسطا بين الجهر والمخافتة(٢).

وروى ابن جرير عن محمد بن سيرين(٣) قال ان أبا بكر رضى الله عنه(٤) كان اذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر رضى الله عنه كان يرفع صوته، فسأل النبى ﷺ أبا بكر: لم تصنع هذا؟ قال: أناجى ربى عز وجل وقد علم حاجتى، قال: أحسنت وسأل عمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان. قال: أحسنت. فلما نزلت «ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا» أمر النبى ﷺ أبا بكر أن يرفع صوته قليلا، وأمر عمر أن يخفض صوته قليلا.

---

(١) الاسراء: ١١٠.

(٢) اخرجاه فى الصحيحين.

(٣) محمد ابن سيرين البصرى تابعى، امام وقته فى علوم الدين، تفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا، توفى عام ١١٠هـ.

(٤) هو أبو بكر بن أبى قحافة واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر القرشيى التيمى، خليفة رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من أسلم من الرجال، وأبوه عثمان تأخر إسلامه إلى عام الفتح، ومات أبوه بعده، وأمه أم الخير أسلمت قديمًا بعد ولدها أبى بكر، وماتت أمه بعده أيضًا، وأبو بكر رضى الله عنه توفى قبل والديه، وورثه أبواه وذلك سنة (١٣)هـ بالمدينة المنورة.

وقال الحسن: لاتراء بعلانيتها «أى الصلاة» ولابسِّريتها.

وذهبت السيدة عائشة[1] وابو هريره ومجاهد رضى الله عنهم أجمعين الى القول بأن المراد من الصلاة فى الآية الدعاء وذلك فيما يرويه البخارى عن عائشة «ولاتجهربصلاتك ولاتخافت بها» أنزلت فى الدعاء. والمراد لاترفع صوتك يامحمد بالدعاء فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك الكفار فتعيَّر بها، فالجهر بالدعاء منهى عنه، كما أن المبالغة فى الاسرار غير جائزة، والمستحب فى ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود انه قال: «لم يخافت من أسمع اذنيه»

الفوائد:

١- الآية رد على الكفار وذلك حينما سمعوا الرسول ﷺ يقول فى سجوده «يا الله يا رحمن» فقالو إن محمدا ينهانا أن نعبد آلهتنا وها هو يدعو مع الهه الها آخر فنزلت الآية مبينة أنهما لمسمى واحد، قال تعالى «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً» أى الحمد لله الذى تنزه عن الولد «ولم يكن له شريك فى الملك» أى ليس له شريك فى ألوهيته «ولم يكن له ولى من الذل» أى ليس بذليل فيحتاج إلى الولى والنصير«وكبره كبيرا» أى عظم ربك عظمة تامة، واذكره بصفات العز والجلال،

---

(١)هى أم المؤمنين الصديقة بن الصديق، الحميراء حبيبة الرسول، التقية النقية الميرأة من فوق سبع سموات المخلدة طهارتها وبراءتها فى التنزيل عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، وحسبها شرفا حب الرسول لها، واظهار ميله اليها، ونزول القرآن فى التنوية بقدرها بعد تبرئتها، ونزول الوحى فى بيتها والرسول فى لحافها، ولم يتزوج بكرا سواها. تزوجها بمكه وهى بنت ست وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع، توفى عنها الرسول وهى بنت ثمان عشرة سنة، وتوفيت عن خمس وستين سنة، سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين وقيل انه مما روى عن الرسول فى شأنها قوله (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وفى الحديث كلام، وكانت أكثر الصحابة حفظا وفتيا، وكان الكثيرون من أعلام الأمة يرجعون اليها مستشيرين مستفتين، وكانت فقيهة عالمة نصيحة كثيرة الحديث عن الرسول ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها، زاهدة كثيرة الكرم والصدقة، روى عنها كثير من الصحابةوالتابعين وقد عين الواقدى ليلة وفاتها فقال: انها ليلة الثلاثاء لسبع عشر خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين، ودفنت حسب وصيتها بالبقيع ليلا

والعظمة والكمال ـ ختمت السورة «كما بدأت» بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة الى الولى والنصير، وهو العلى الكبير.

٢- بيان أن لفظ «الله والرحمن» من أسماء الله الحسنى، وهذه الأسماء منبثة فى القرآن، وعددها يربو على المائه، أى أن هناك من الاسماء الحسنى التى لم يرد ذكرها فى الحديث الشريف وذكرت فى الكتاب العزيز وهناك الاسماء الحسنى التى وردت فى الحديث، وجاءت بصيغة أخرى فى الذكر الحكيم منها على سبيل المثال: اسمه تعالى «النصير» فى قوله تعالى ﴿ .. **وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾(١)، واسمه تعالى «الشاكر» فى قوله تعالى: ﴿ .. **وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**﴾(٢)، واسمه تعالى «القائم» فى قوله تعالى ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾(٣) واسمه تعالى «الفاطر» فى قوله تعالى ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾(٤)، واسمه تعالى «عالم الغيب والشهادة» مذكور فى قوله تعالى ﴿ .. **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾(٥)، واسمه تعالى «الصادق» فى قوله تعالى ﴿ .. **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾(٦)، واسمه تعالى «المولى» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾(٧)، واسمه تعالى «المستعان» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾(٨)، واسمه تعالى «الغالب» فى قوله تعالى ﴿ .. **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾(٩)، واسمه تعالى «الحافظ» فى قوله تعالى ﴿ .. **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١٠)، واسمه تعالى «الشديد» فى قوله تعالى ﴿ .. **هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾(١١)، واسمه تعالى «الخلاق» فى قوله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ**﴾(١٢)، واسمه تعالى «الكفيل» فى قوله تعالى ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا**

---

(١) البقرة: ١٠٧.
(٢) البقرة: ١٥٨.
(٣) آل عمران: ١٨.
(٤) الانعام: ١٤.
(٥) الانعام: ٧٣.
(٦) الانعام: ١٤٦.
(٧) الانفال: ٤٠.
(٨) يوسف: ١٨.
(٩) يوسف ٢١.
(١٠) يوسف: ٦٤.
(١١) الرعد: ١٣.
(١٢) الحجر: ٨٦.

تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾(١)، واسمه تعالى «الحفى» فى قوله تعالى ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾(٢)، واسمه تعالى «المبين» فى قوله تعالى ﴿.. وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣)، واسمه تعالى «الكافى» فى قوله تعالى «أليس الله بكاف عبده»(١٦)، واسمه تعالى «الغافر» فى قوله تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾(٤)، ومن اسمائه تعالى «الرفيع الدرجات، ذو العرش» فى قوله تعالى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾(٥)، ومن أسمائه تعالى «الرزاق ذو القوة» فى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾(٦)، واسمه تعالى «المليك» فى قوله تعالى ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(٧)، واسمه تعالى «الأعلى» فى قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾(٨)، واسمه تعالى «الأكرم» فى قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾(٩)، واسمه تعالى «الأحد» فى قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾(١٠) الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد. صدق الله العظيم.

وهذا الذى ذكرته اجتهاد فيه احتمال الخطأ، أسأل ربى ألا يؤاخذنى عليه، إذ لاطاقةلى حتى بحصر الأسماء الحسنى التى وردت بلسان الذكر الحكيم فى الكتاب العربى المبين، ذلك بأنى أجمع نورا من النور الذى أنزله نور السموات والأرض.. وبذلك يكون العدد الذى استخلصته هو أكثر من تسعة وتسعين اسما..

فما الحكمة فى قوله ﷺ فى الحديث الشريف «إن الله تسعة وتسعين اسما»؟

نلاحظ أن العدد «تسعة وتسعين» ذكر فى حديث رسول الله ﷺ أكثر من مرة

---

(١) النحل: ٩١.
(٢) مريم: ٤٧.
(٣) الحج: ٥٤.
(٤) غافر: ٣.
(٥) غافر: ١٥
(٦) الذاريات: ٥٨.
(٧) القمر: ٥٥.
(٨) الأعلى: ١.
(٩) العلق: ٣.
(١٠) الإخلاص: ١.

كقوله عليه الصلاة والسلام «إن الله عز وجل خلق مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق. . وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة» كما ذكر هذا العدد فى القرآن الكريم مرة فى الآية الثالثة والعشرين من سورة «ص» وأغلب الظن أن هذا العدد ذكر فى كتب الله السماوية التى نؤمن بها.

فما الحكمة فى اختيار هذا العدد بالذات مع اجماع العلماء أن الأسماء الحسنى أكثر من هذا. .؟ بل إن بعض الأسماء الحسنى قد استأثر بها الله سبحانه، فى علم الغيب عنده، بدليل هذا الدعاء للنبى ﷺ «أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك. أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى وغمى. .»

ويرى الفخر الرازى، أن الحكمة فى القصر على هذا العدد المخصوص، أنه تعبدى لايعقل معناه، كما قيل فى عدد الصلوات وغيرها. .إشارة إلى أن الأسماء الحسنى لاتؤخذ قياسا وربما كان السبب فى اختيار هذا العدد أنه يطلق على الأشياء التى يصعب حصرها، وربما كانت الحكمة أن معانى الأسماء ولو كانت كثيرة جدا، إلا أنها موجودة ـ على قدر احتياجنا ـ فى هذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين أو أن الأسماء المذكورة هى أشهر الأسماء وأبينها معنى، وذلك بقدر حاجتنا إلى الأسماء التى ندعو بها الله سبحانه وتعالى.

وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربى* أحد أئمة المالكية فى كتابه الأحوذى بشرح الترمذى أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم. واخيرا أحب أن أضيف أن كثيرا ممن عنى بكتابة الأسماء الحسنى قد ذكر مائة اسم، كما فعل الإمام أبو بكر البيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. فقد ذكر الأسماء الحسنى برواية الوليد عن شعيب، ثم أضاف الاسم «الكافى»[١] فيكون المجموع مائة.

---

(١) كتاب الاسماء والصفات للبيهقى. ط الهند ص (٤).

* أبو بكر بن العربى المعافرى ولد بأشبيلية عام ٤٦٨هـ ورحل فى طلب العلم إلى مصر والشام والعراق. ألف العديد من الكتب منها عارضة الأحوذى على كتاب الترمذى، وأحكام القرآن، والقواصم والعواصم، توفى سنة ٥٤٣هـ ودُفن بمدينة فاس.

وقد جزم السهيلى قائلا: الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة.

والحديث الشريف يقول: «مائة غير واحد» فى رواية الوليد عن شعيب وفى رواية زهير «مائة إلا واحد» الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه والحديث أخرجاه فى الصحيحين وفى صحيح الترمذى، أما رواية «زهير» فقد ذكرها محمد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

ويكون الواحد: الله الذى لا إله إلا هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. والله ورسوله أعلم.

ونعود إلى ذكر فوائد الآية الكريمة..

٣- بيان أن لفظ «الله» هو أسمى أسمائه الحسنى ولذلك قدم على الرحمن.

٤- بيان أن المراد من الصلاة فى الآية هو «الدعاء» وهذا يوافق تعريف الصلاة بالمعنى اللغوى، وعلى كل فالصلاة مشتملة على الدعاء، وهذا من اطلاق الكل وارادة الجزء.

ومن ثم يمكن اعتبارها واردة فى مقام الأمر بالدعاء لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب، فالله تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ أن يقول للخالق جميعا: ادعوا الذات المقدسة المعبودة بحق ونادوها بأحب الأسماء اليها، بالأسماء الحسنى، واستغيثوا بها، والجأوا اليها فى كل زمان ومكان، نادوها بلفظ «الله» أوبأى اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، سواء كان هذا الاسم هو «الرحمن» أو غيره، فأسمائه تعالى الحسنى كلها... كل اسم منها مشتمل على التقديس والتمجيد والتعظيم. والله أعلم.

الفصل السادس

الأمر بالدعاء فى أجمل صورة وأرقا ها

يشتمل هذا الأمر على الصورة الكاملة التى يمكن القول بأنها أرقى أنواع الدعاء، وهو آيتان فى سورتى الفاتحة والنساء، ويمكن تقسيمه الى نوعين، الأول يوضح أفضل صور الدعاء كما وكيفا، والثانى خاص بما ينبغى أن يقترن به الدعاء من آداب.

الآية الأولى: قول الله تعالى فى سورة الفاتحة:

«اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين». . آمين.

هذه الآية الكريمة توضح لنا أسمى صور الدعاء اشراقا وتعبيراً. . وهى سبيل السعادة للمؤمنين. . نتحدث عن ذلك فيما يلى:

المبحث الأول

ربط الآية بما قبلها

رأينا من الخير أن نذكر ترنيمة المؤمن اليومية ككل ثم نتحدث عن صدر السورة فى مبحثنا هذا فنقول وبالله التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم. ولا الضالين»

الفاتحة: هى دعاء المسلم وورده اليومى يردده سبع عشرة مرة أو أكثر فى اليوم والليلة.

- هى ترنيمة المؤمن وخبزه الإيمانى الذى يقتات به مراحله ومغداه، وفى صباحه

obeikandl.com

ومساه، وفى فرضه ونفله، وفى تهجده وتعبده.

ـ هى باقة إلهية ضمت ألوانا عدة من مفاهيم العقيدة، وأهداف الدعوة، وأصوات الشريعة.

ـ هى أم الكتاب والسبع المثانى[1]

سماها ابن عباس[2] رضى الله عنه: أساس القرآن، وسماها سفيان بن عيينه[3] «الواقية».. وأطلق عليها يحيى بن كثير «الكافية لانها تكفى عما عداها، ولايكفى ماسواها عنها.

ـ فيها من كليات العقيدة الإسلامية، ما يومئ الى الحكمة الإلهية فى اختيارها للتلاوة فى كل ركعة من ركعات الصلاة.

والفاتحة بآياتها السبع دفقة من دعاء محض، وابتهال خالص إلى الله سبحانه. تبدأ بدعاء وتنتهى بدعاء.

---

(١) السبع المثانى هى سورة الفاتحة بآياتها السبع التى تثنى وتعاد فى كل ركعة من ركعات الصلاة.

(٢) ابن عباس: هو البحر الحبر ترجمان القرآن فقيه الامة، الصحابى الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى الملكى ثم المدنى ثم الطائفى، ابن عم النبى ﷺ وقد كنى بأبيه العباس وهو أكبر ولده، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان جميلا نبيلا أبيض جسيما وسيما صبيح الوجه فصيحا، إذا مر فى الطريق قالت النساء: أمر المسك أم ابن عباس؟ وقال مسروق: كنت اذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، واذا نطق قلت: أفصح الناس، واذا حدث قلت: أعلم الناس وكان نبيل المجلس مشحونا بالطلبة فى أنواع العلوم، ولا عجب فقد دعا له الرسول فقال «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل، وكان مهيبا. وكان عمر يستشير ابن عباس ويقول: غواص. وقال سعد: ما رأيت أحضر فهما ولا ألب لبا، ولا أكثر علما، ولا أوسع حلما من ابن عباس، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات. ومناقبة جمّة. توفى رضى الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه محمد بن الحنفية رضى الله عنهما.

(٣) سفيان بن عيينه: هو أحد الأعلام شيخ الحجاز، محدث الحرم، الامام المعلم أبو محمد سفيان بن عيينه الهلالى الكوفى الحافظ نزيل مكه، ولد رضى الله عنه فى الكوفة سنة سبع ومائة وسكن مكة، وحفظ القرآن وهو ابن سنوات قليلة، وكتب الحديث بعد ذلك وهو ابن سبع، ولم تكن له كتب، قال الشافعى لولا مالك وابن عيينه لذهب علم الحجاز، وقال ابن وهب: لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينه. وحج سبعين حجة، وقال عنه الشافعى: ما رأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه، ولا أكف عن الفتيا منه. وتوفى رضى الله عنه بمكه فى أول رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون، وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

ولعل هناك أسباب إلهية فى أن تكون فاتحة الكتاب كلها دعاء..

وخاتمة الكتاب كلها دعاء..

وما بين الفاتحة والخاتمة: عقيدة، وعبادة ودعاء.

وكما كانت خاتمة الكتاب دعاء واستعاذة بالله من شر النفس والدنس ومن شر الوسواس الخناس «المعوذتين».. كانت الفاتحة دعاء بدئ بحمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك الملك والملكوت، المتفرد بالعبودية، المستعان، الهادى المنعم، ثم كانت بعد ذلك سؤالا وتضرعاً من المؤمنين بالله حتى يمنحهم الهداية والرشد والسداد والتوفيق.

ويقول الإمام محمد عبده عند تفسيره الفاتحة (أم القرآن) أنها اشتملت على مجمل ما فصل فيه من أصول هدايته الكلية.

فان ما نزل القرآن لأجله خمسة أمور كلية هى (بتصرف)

١- التوحيد: يشير الى ذلك من الفاتحة «الحمد لله رب العالمين»

٢- الوعد والوعيد: يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «مالك يوم الدين»

٣- العبادة. يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «اياك نعبد واياك نستعين»

٤- بيان سبل السعادة، يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم»

٥- قصص الماضيين، يشير الى ذلك من الفاتحة قوله تعالى «صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آمين.

والفاتحة دعاء بدئ بعد البسملة بحمد الله...

ـ وحمد الله دعاء فيه طمأنينه نفسية تعفى ماترسب فى الأعماق من اهتزاز عواطف أو جموح أحاسيس، وتندفع الى الصفاء الداخلى، والراحة الوجدانية والهدوء القلبى.

ـ الحمد وقود روحى يصهر النفس فيزيل ما ران عليها من شوائب اليأس، ويجدد الطاقات ويشحذ الأفئدة بفيض من أمن وأمل ورضا وتفاؤل وراحة روحية.

والمدنية الحديثة بضجيجها وعجيجها وآلاتها وصخبها، وماديتها الشرسة، الجامحة وأوراها الملتهب، وتكالبها المسعور المحموم، وأنانيتها التى أحرقت الأعصاب قد بعثت القلق فى النفوس وأورثتها أمراضا أشاعت فى الأجسام أسقاما عز علاجها وندر تطبيبها.

والطب الحديث بمبضعه السحرى ومعامله وأنابيبه ونظرياته النفسية المبتكرة، ومجالاته المتحدثة تحير أمام أدواء النفس ولم تسطع عقاقيره ورياضاته أن تنفذ الى الأعماق، لتذيب ماتركز فيها من يأس، وما شاع بين أنحائها من ألم نفسى ممض صبغ الحياة بصبغة قاتمة، ولون النفس بلون أسود فاحم. والقرآن من قبل ذلك كله قد حصن النفس من ان يتسرب الى اعماقها ظلام اليأس، أو يتمكن منها أخطبوط القلق بأنفاسه السامة ونفثاته المحرقة.. فشخص العلاج فى إكسيره القوى الناجع «الحمد» بكل ما يحمل من معنى، وبكل مايشيعه من أمان واطمئنان، وبكل مايشعه من رضا واستسلام.. جعله علاجاً للقلق، ودواء للإضطراب والقنوط، وإكسيراً يتجرعه المؤمن.. فيسكن الإضطراب ويسكت القلق، ويسكب الاطمئنان برده على المؤمن الحامد فيفئ الى واحة فينانة من الرضا يستظل بظلالها، ويتنفس الصعداء، ويحس نسمات الأمن تهب عليه رخية ندية..

وذو النفس الحيرى المضطربة، يردد بلسانه وجنانه وكيانه، «الحمد لله» يرددها بعقله وقلبه، مستعرضا ما أفاء الله عليه من نعم. ويظل يردد ويردد حتى يترسب فى العقل الباطن ويتركز الحمد لله بمفهومه فى اللاشعور، وآنئذ تتراءى له حقائق، فمايعدّه ضائعاً وهو بين يديه يجد فيه الخير كل الخير، والفناء كل الفناء. وما كانت غائبة عنه أو محجوبة عليه أو مغطاة على بصرة.. والنفس القلقة جعل القرآن دواءها ذلك الأمل الإلهى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1].

---

(١) الضحى: ٥.

وهو وعد إلهى يميت اليأس، ويميط اللثام عن ضياء وصفاء واشراق وسناء ويجدد فى الأعماق الأمل الباعث الى الحياة والى العمل، والى الإطمئنان، والى الحمد، وبذا تغدو النفس نفسا هادئة مستقرة مطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(١).

وإذا كانت ركيزة الحمد الأولى، ذلك الأمل المتبلور فى الموعد الإلهى «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

فإن ركيزته الثانية ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾(٢).

فاذا ما ألقى المؤمن أموره كلها الى مولاه، وألقى متاعبه التى ينوء بها ظهره على أعتاب سيده ومربيه. ونفض يديه من أثقال الحياة وتكاليف العيش وألقى الحمل كله بين يدى خالقه، فإنه ولاشك يجدد طاقته، ويستعيد راحته النفسية، وما دام قد أسلم وجهه وأمره كله لمدبر الأمر مصرّف الكون.. فقد تحللت نفسه مما أهمها وأمضها وأرمدها وأقلقها، وغدا وقد خلا من الشواغل والمشاغل.

ومن فوض أمره لله فقد توكل عليه، ومن توكل على الله فقد كفاه الله شر القلق والإضطراب.. ومنحه الهدوء والرضا. وذلك طريق الشكر والثناء والحمد لله..

وعن التوكل يقول رسول الله ﷺ: «لو توكلتهم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطرير تغدو خماصا وتروح بطانا».

وعن تفويض الأمور الى الله يقول الرسول ﷺ: «إذا أويت الى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسى اليك، ووجهت وجهى اليك، وفوضت أمرى إليك، وألجات ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت» فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيرا»(٣).

---

(١) الفجر: ٢٧- ٣٠.

(٢) غافر: ٤٤.

(١) رياض الصالحين للنووى: متفق عليه عن البراء بن عازب رضى الله عنه: باب مايقوله عند النوم ص ٥١٣.. ط. المطبعة العصرية. بيروت. والنووى: هو يحى بن شرف علاّمة بالفقه والحديث له العديد من المصنفات منها شرح مسلم ورياض الصالحين، والأذكار والأربعين النووية التى شرحها كثيرون، توفى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

obeikandl.com

أما ركيزة الحمد الثالثة فهى الايمان المطلق بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره.. قال عليه السلام لما سأله جبريل عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وليس التسليم بالقضاء والقدر هو ما وقر فى القلوب والأذهان من أنه التواكل والاستسلام، والقعود عن الكسب والعمل، والرضا بالمركز الدون، والعزوف عن الدنيا، فليس ذلك من الدين، وليس ذلك من مفاهيم الاسلام، إنما التسليم: أن تعقل ثم تتوكل، وأن تأخذ فى الأسباب وتعمل ثم تسلم النتائج لله راضيا بكل ما يمنحه او يمنعه، إذ كل من عند الله، وكل ميسر لما خلق له..

فعلى المؤمن إذن أن يكافح وينافح ويجاهد ويجد فى جهاده وعمله، موقنا بقضاء الله، موقنا بعدله وعدالته، وأن يحمد الله تعالى فى كل أحواله. روى ابن ماجة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ» وقال القرطبى فى تفسيره، وكذا فى نوادر الأصول عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال الحمد لله لكان الحمد أفضل من ذلك» قال القرطبى وغيره: أى لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا، لأن ثواب الحمد لايفنى، ونعيم الدنيا لايبقى. قال الله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** ﴿٤٦﴾﴾(١)..

وفى سنن ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك» فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى الله فقالا يا ربنا إن عبدا قد قال مقالة لاندرى كيف نكتبها؟ قال الله وهو أعلم بما قال عبده، ماذا قال عبدى؟ قالا يارب إنه قال: «لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك» فقال الله لهما: «اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها».

وقال عمر بن الخطاب لعلى.. وأصحابه عنده «رضى الله عنهم»: لا إله إلا الله وسبحان اله والله أكبر قد عرفناها فما الحمد لله؟ قال على: كلمة أحبها الله

---

(١) الكهف: ٤٦.

تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال. روى الامام أحمد بن حنبل[1] عن الحسن الأسود بن سريع قال قلت يارسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربى تبارك وتعالى فقال: «أما إن ربك يحب الحمد».

هذا هو الحمد بنتائجه وآثاره وفعاليته. فلا غرر أن كان صدر الفاتحة دعا هو «الحمد لله رب العالمين» ولا عرو أيضا أن كان آخر دعاء المؤمنين فى الجنة حمداً لربهم: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[2].

---

(١) هو شيخ الأمة وعلم أعلام بغداد وعالم أهل العصر أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الذهلى الشيبانى المروزى ثم البغدادى الامام الفقية الحافظ الحجة، ولد سنة اربع وستين ومائة ببغداد ونشأ بها، وكان أبوه جنديا مات شابا فى أول طلب ابنة احمد للعلم فى سنة تسع وسبعين ومائة، وكان ابن حنبل شيخا أسمر مديد القامة مخضوبا عليه سكينة ووقار، وكان إماما فى الحديث وضروبه، اماما فى الفقة ودقائقها، وهو أحد الائمة الاربعة الذين لاتزال مذاهبهم مشهورة الى اليوم وكان اماما فى السُّنة ودقائقها، إماما فى الزهد وحقائقه. وقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكه والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكان يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة وكان لايدع قيام الليل قط، وكان يسر ذلك وأمثاله عن الناس ، وكان يلبس الثياب النقية البياض، ويتعهد شاربه وشعر بدنه ورأسه، وكان زاهداً متقشفا فى طعامه وشرابه، وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاث منها ماشيا، وابتلى بفتنه القول فى خلق القرآن فصبر واحتمل، وكان مثلا يروى للجيل بعد الجيل فى الايمان والثبات والاحتساب. ويقول فيه الشافعى: خرجت من بغداد وماخلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من احمد بن حنبل. وقال ابراهيم الحربى: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً، يعجز النساء ان يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، ما أمثله الا بجيل نفخ فيه روح. ورأيت بشر بن الحارث، ماشبهته إلا برجل عجن من قرنه الى قدمه عقلا، ورأيت احمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الاولين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ماشاء، وعن الحسن بن العباس قال: قلت لابى مسهر: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الامة دينها. قال: لا أعلم إلا شابا بالمشرق، يعنى احمد بن حنبل. وروى عن ابن حنبل أنه قال: اذا جاء الحديث فى فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا فى اسناده.

واذا جاء الحديث فى الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه، وكان الشافعى يزور ابن حنبل كثيرا فى منزله فعوتب الشافعى فى ذلك فأنشد:

قالوا يزورك احمد وتزوره　　قلت: الفضائل لاتفارق منزله

ان زارنى فبفضله، أو زرته　　فلفضله، فالفضل فى الحالين له

وكان ابن حنبل يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى، ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر اليه وقال: بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده. توفى رضى الله عنه ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول صبيحة الجمعة سنة احدى وأربعين ومائتين، وقد تجاوز سبعا وسبعين سنة وشيع جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستون ألفا، ومناقبة كثيرة، وفى سيرته وضعت كتب متعددة.

(٢) يونس: ١٠.

والمنهج الدعائى تخططه لنا سورة الفاتحة.

فهو يبدأ بذكر ويصدر بتوسل، توسل الى الله بأسمائه وصفاته ثم يأتى عقب ذلك السؤال والطلب.

وها هى ذى السورة تمضى مبينة ذلك المنهج، فالحمد نتوجه به الى الله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، المعبود المستعان، الهادى المنعم..

ـ رب العالمين: الذى خلق الجن والإنس وأوجدهم ورباهم: عندما مدهم: بأسباب الحياة المعنوية والمادية فأرسل اليهم هداة يبصرونهم أمور دينهم ودنياهم وأمور معاشهم ومعادهم، يوجهون دنيا الناس الى دين رب الناس، لتعمر الدنيا ويسعد الأناس ويصفو العيش وتسمو الحياة، فله خالص الحمد على سيادته وربوبيته.

وقال الزجاج: العالم كل ماخلق إلله فى الدنيا والآخرة، قال القرطبى وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾(٢)...

والعالم مشتق من العلامة، لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته، كما قال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

ـ **الرحمن الرحيم:** يقول الأصفهانى(٢): «والرحمة رقة تقتضى الإحسان الى المرحوم وقد تستعمل تارة فى الرقة المجردة، وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف به البارى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة»، وعلى هذا روى أن الرحمة ن الله: إنعام وإفضال، ومن الآدميين: رقة وتعطف، ثم قال الأصفهانى:

---

(١)الشعراء: ٢٣.

(٢) فى كتاب مفردات غريب القرآن مادة «رحم».

«ولا يطلق الرحم الا على الله تعالى من حيث أن معناه لايصلح إلا له، إذ هو الذى وسع كل شىء رحمة، والرحيم يستعمل فى غيره وهو الذى كثرت رحمته، قال تعالى: «إن الله غفور رحيم» وقال فى صفة النبى ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقيل إن الله تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وذلك أن إحسانه فى الدنيا يعم المؤمنين والكافرين، وفى الآخرة يختص بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٢).

تنبيها الى أنها فى الدنيا عامة: للكافرين والمؤمنين، وفى الآخرة مختصة بالمؤمنين.

ويقول الشيخ محمود شلتوت(٣) «الرحمن الرحيم: هذه هى الآية الثانية من آيات سورة الفاتحة تشتمل على اسمين كريمين من أسماء الله الحسنى: الرحمن الرحيم..

والإتيان بهذين الإسمين الكريمين بعد ذكر ربوبية الله تعالى له مغزى عظيم. ذلك بأن الله بين بهما أن ربوبيته وملكه للعالم ليس مصدرهما جبروته وقهره «وهوالقهار الجبار» ولكن مصدرهما عموم رحمته، وشمول إحسانه لجميع خلقه، فإنهم بالرحمة يوجدون، وبالرحمة يتصرفون، وبالرحمة يرزقون، وعلى الرحمة يعتمدون، وبالرحمة يوم القيامة يبعثون ويسألون.

فإن استقر هذا المعنى فى نفوس العباد وأن الله يتحبب إليهم بصفة الرحمة والإحسان كان ذلك أبعث لإقبالهم عليه بصدور مطمئنة وقلوب مؤمنة».

ونحن اذا تتبعنا آيات القرآن وجدنا أن رحمة الله بعباده لها مظهران: مظهر التربية الخلقية ومظهر التربية التشريعية، والحياة كلها تقوم على المادة والروح وبهذايتبين معنى قوله تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٤).

---

(١) التوبة: ١٢٨- ١٢٩.
(٢) الاعراف: ١٥٦.
(٣) شيخ الازهر السابق فى تفسيره ص ٣٤.
(٤) الأعراف: ١٥٦.

ـ **مالك يوم الدين:** هذه الآية تتضمن الكلية الثانية من كليات العقيدة الإسلامية: الوعد والوعيد، والدين: الجزاء والحساب، ومالك يوم الدين، المتصرف فيه بالعفو والصفح وبالمثوبة والعقاب.. وفى الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» أى حاسب نفسه بنفسه كما قال عمر رضى اله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على من لاتخفى عليه أعمالكم «يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية» يقول الاستاذ الإمام[1]: علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم، ليجذب قلوبنا اليه، ولكن هل يشعر كل عباده بهذه المنة فينجذبوا إليه الإنجذاب المطلوب؟ كلا، أليس فينا من يسلك كل سبيل لا يبالى بمستقيم ومعوج؟ بلى، ولهذا أعقب سبحانه وتعالى ذكر الرحمة بذكر الدين، فعرفنا أنه يدين العباد ويجازيهم على أعمالهم، فكان من رحمته بعباده أن رباهم بنوعى التربية كليهما: الترغيب والرهيب كما تشهد بذلك آيات القران الكثيرة: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴿٥٠﴾**﴾[2].

والمؤمن مهما يعمل فإنه يستقبل عمله فى جانب الله، ويستصغر ما أداه فى نظير نعم الله عليه، ويعتقد أن ماقدم فى دنياه من صالح العمل، ومن ألوان الخير والبر لاتجزى إلا إذا رضى عنه مالك يوم القيامة. فلا جرم أن دعا وابتهل إلى مالك الملك والملكوت وإلى مالك يوم الدين ليغمره بغفرانه ورحماته يوم الدين ﴿**يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾**﴾[3].

ـ **إياك نعبد:** وإياك نوحِّد ونخاف ونرجوك ياربنا لاغيرك، فلا نعبد إلا الله، والعبودية تذلل وخضوع، والدعاء تذلل وخضوع، ومن هنا كانت العلاقة بين الدعاء وبين تلك الحقيقة الاسلامية «إياك نعبد»

وكل مفاهيم العقيدة وأهدافها روافد تصل الى هدف اسمى وأعم هو: العبادة

---

(١) الاستاذ الإمام محمد عبده فى تفسيره للفاتحة.

(٢) الحجر: ٤٩- ٥٠.

(٣) الشعراء: ٨٨- ٨٩.

والعبادة هى المقصد، وهى الغرض من الخلق مصداقا لقول الخالق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(١).

الهدف إذن هو عبادة الله وحده، والتحرر من عبادة ماسواه، التحرر من عبودية المادة، وللمادة سلطان على النفوس تجرفها فتعميها عن أبسط واجبات الإنسانية، وتغطى عليها بردائها فتبعدهاعن رفيع القيم، وعالى المثل، والتحرر كذلك من عبودية الطغاة فلا يخضغ المخلوق إلا للخالق.

ومادام المتكفل بالرزق والحياة هو الرازق واهب الحياة فكان من البلاهة أن نستكين إلى الخلق، أو نخشى بطش المخلوق الذى مهما تجبر وتكبر وطغى وبغى فهو ضعيف تؤلمه لسعة، وتؤرقه حسرة، وتعتريه رغما عنه لحظات يشعر فيها بالضعف الإنسانى..

وفى النهاية مهما عمّر فى الأرض، ومهما عمّر فى السن، فمصيره إلى الفناء ومسيرة الى عدم وزوال، والله فوق الخلق حى باق دائم قيوم قوى، فهو الجدير بالعبادة، وإليه وحده نتوجه بالسؤال والإبتهال والإستعانة، «إياك نعبد وإياك نستعين».

- **وإياك نستعين:** والإستعانة هى طلب المعونة، والمعونة هى سد العجز والمساعدة على إتمام العمل الذى يعجز عنه المستعين بنفسه.

والاستعانة بالله فرار الى الله وتعلق النفس به، وطلب العون منه...

استعانة من عاجز ضعيف بقوى قادر، واستغاثة من ملهوف برب رءوف وتوجه ورجاء الى مصرف الأكوان، ومدبر الأمر ليزيل علة، أو يزيح غمة، أو يفرج كربة أو يحقق رجاء وطلبة.

فالزارع مثلا يبذل جهده فى الحرث والعزق وتسميد الأرض وريها، ويستعين بالله تعالى سائلا إياه أن يبعد عن زرعه آفة تهلك المحصول أو تبيد الثمر.

والتاجر يحذق اختيار الأصناف ويمهر فى صناعة الترويج، ويتكل على الله فيما بعد ذلك.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

وهكذا شأن المؤمن العامل فى أى منحى من مناحى الحياة يجد ويكد، ويجتهد ويكافح وينافح بجهاده الذاتى مستمداً من مولاه ما يعينه على إتمام عمله مستعيناً بإلهه وخالقه حتى يكتب له النجاح والوصول الى الهدف والمبتغى.

ومن هنا يكمن الإرتباط وتظهر العلاقة بين الإستعانة والدعاء، يقول الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسيره: «أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة «إياك نستعين» إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة فى الدنيا والآخرة.

أحدهما ـ أن نعمل الأعمال النافعة، وأتقانها ما استطعنا، لأن طلب المعونة لا يكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه، أو يخشى ألا ينجح فيه فطلب المعونة على إتمامه وإكماله. ومن وقع من يده القلم على المكتب لايطلب المعونة من أحد على إمساكه، ومن وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استفراغ القوة فى الإستقلال به، وهذا الأمر هو مرقاة السعادة الدنيوى، وركن من أركان السعادة الأخروية.

وثانيهما: ما أفادة الحصر عن وجوب تخصيص الإستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك، وهو روح الدين وكمال التوحيد الخالص الذى يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار، ويفك إرادتهم من أسر الروحاين، والشيوخ الدجالين، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكاذبين، من الأحياء والميتين، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً، ومع الله عبداً خاضعاً ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴿٧١﴾﴾[1].

واختصاص الله بالتوجه إليه والاستعانة به «إياك نعبد وإياك نستعين» هى الكلية الرابعة التى تنشئها الكليات الثلاث الأولى فلا عبادة إلا لله، ولا إتجاه لغير الله، وما من قوة فى الكون إلا قوته، فالله وحده نعبد، والله وحده نستعين.

---

(١) الأحزاب: ٧١.

المبحث الثانى

«اهدنا الصراط المستقيم»

يشتمل على مطلبين:

١- الهداية

٢- الصراط

المطلب الأول

الهداية

سؤال المؤمن ومبتغاه من دعائه هوالهداية.

يسأل مولاه أن يهديه الى مافيه صلاحه وفلاحه ونفعه ونجحه..

يسأله أن يأخذ بيده وسط ظلام الدنيا الحالك، ووسط الأنواء والأهواء وليوصلة الى مرفأ الأمن والأمان..

والهداية لغة هى الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب، وقد منح الله تعالى الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته..

أولاها: هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى، وتكون للأطفال منذ ولادتهم، فإن الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء، فيصرخ طالباً له بفطرته، وعندما يصل الثدى الى فيه يلهم التقامه وامتصاصه.

الثانية: هداية الحواس والمشاعر، وهى متممة للهداية الأولى فى الحياة الحيوانية، وهاتان الهدايتان تظهران جليا، فى وقت مبكر فى الحيوان الأعجم بعد ولادته بخلاف الإنسان فإنهما يكملان فيه بالتدريج فى زمن قصير، وهذه الهداية هى التى تنهض بأمة النمل والنحل لكى تكون أمة إجتماعية.

obeikandl.com

الثالثة: هداية العقل وهى خاصة بالانسان حيث توهله حواسه ومشاعره لحياة اجتماعية ملهمة كالحياة التى يعيشها النمل والنحل، وهذه الهداية توجد فى الإنسان عند البلوغ، وهى أرقى من هدايتى الحواس والمشاعر لأنها تصحح أخطاءهما، كما توضح الأسباب التى أدت الى هذه الأخطاء، وهذه الهدايات الثلاث تساوى فيها الخلق جميعاً سواء اعترفوا بواحدانية الله تعالى أم لا.

الرابعة: هداية الدين: وهى أرقى درجات الهداية وهى التى من شأنها السيطرة والتوجيه للهدايتين السابقتين وبالأخص لهداية العقل وذلك عند التكليف فهى التى تنظم للعقل حدود عمله وهو بدوره على ضوء توجيهاتها يحدد للحواس والمشاعر خط سيرها ومسارها فيكون القول أو الفعل سليما صحيحاً معافى من العلل والأسقام المادية والروحية.

وقد أشار القرآن الى أنواع الهداية التى وهبها الله تعالى للأنسان فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿١٠﴾﴾[1].

أى طريقى السعادة والشقاوة، والخير والشر، وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة، وهداية العقل والدين، وهى مما تفضل الله به على جميع أفراد البشر.

ولكن بقى معنا هداية أخرى، أخص من تلك، والمراد بها طلب الإعانة والتوفيق فى السير على طريق الخير، من هذا النوع قوله تعالى: ﴿**الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾[2].

وهذه الهداية هى التى ينبغى أن تقصد فى هذه الآية وهى أمر من الله تعالى وجب على المسلمين اتباعه، ذهب إلى هذا الرأى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فيما أخرجه ابن حاتم حيث قال «اهدنا الصراط المستقيم» أى ألهمنا دينك الحق، قال ابن جرير: وإلهامه تعالى إياه هو توفيقه له، فالهداية السابقة على هذه، توقف

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) طه: ٥٠.

الإنسان على رأس الطريقين المهلك والمنجى مع بيان ما يؤدى كل منهما إليه، أما هذه الهداية فهى أخص منها إذ المراد منها طلب الدلالة على طريق الخير والنجاة وطلب إعانة الله وتوفيقه للسير فيه، وهى ليست لكل الخلق والناس كالهدايات السابقة، إذ العقل لايهتدى الى الصواب، وربما يخطئ أيضا فى فهم دينه ومعتقده لذلك جاء الدعاء بطلب الإعانة والتوفيق على الدرب المؤدى لحب الله تعالى. أو يراد بطلب الهداية الثبات عليه، وذلك كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾(١).

أى ثبتنا على الهداية، واهدنا بمعنى ثبتنا مروى عن على وأُبّى رضى الله عنهما، أو يراد زدنا من هذه الهداية كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾(٢).

ولعل العدول عن «اهدنى» الى «اهدنا».

١- لأن الدعاء الى الاجابة والقبول أقرب فى صورة الجماعة منه فى صورة الفرد.

٢- ولقول رسول الله ﷺ: «ادعوا الله بألسنة ما عصيتموه بها، قالوا يارسول الله، ومن لنا بتلك الألسنة، قال: يدعو بعضكم لبعض لأنك ماعصيت بلسانه، وماعصى بلسانك».

٣- وقوله الرسول ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»

٤- أو لأن «اهدنا» موافقا لما سبق فى السورة من لفظ الجماعة فى «الحمد لله رب العالمين».. «إياك نعبد وإياك نسعين»، «عليهم ولا الضالين».

ويقول الأستاذ الإمام(٣) ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين، وفى استعمال الحواس والعقل كان محتاجا الى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبها منه

---

(١) آل عمران: ٨.

(٢) محمد: ١٧.

(٣) مرجع سابق ص ٤٦ تفسير المنار.

فى قوله: «اهدنا الصراط المستقيم» فمعنى اهدنا الصراط المستقيم، دلنا دلالة واضحة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وما كان هذا أول دعاء علّمنا الله تعالى إياه إلا لأن حاجتنا اليه أشد من حاجتنا الى كل شىء سواه».

أمرنا الهادى أن نسأله سلوك الطريق المستقيم وهو طريق واحد لاعوج فيه ولا انحراف ولا عقابيل.. طريق النور.. طريق الحق والعدالة والشرعية الإلهية.. إنه طريق الوصول إلى الواحد الأحد. الى الله، ومن كان الله هدفه ومبتغاه فقد جمع الخير من أطرافه، وسيقت له الدنيا.

ودعوة الهداية الى الصراط المستقيم وإن كانت تبدو دعوى جزئية إلا أنها تحمل بين طياتها جل مدلولات الأدعية الجزئية، إنها دعوة عامة تغنى عن كل دعاء.. دعوة شاملة، وهذا الشمول يناسب الكليات العقيدية التى تضمنتها هذه السورة!

المطلب الثانى

«الصراط المستقيم»

اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط، وان كان يرجع حاصلها الى شىء واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى أنه كتاب الله، رواه ابن أبى حاتم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «الصراط المستقيم كتاب الله» وكذلك رواه ابن جرير، ورواه أحمد والترمذى فى فضائل القرآن عن على مرفوعا «وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم»، وقد روى موقوفا على علىّ رضى الله عنه.

وقيل هو «الإسلام» قاله الضحاك عن ابن عباس قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام، قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم، يقول ألهمنا الطريق الهادى، وهو دين الله الذى لا اعوجاج فيه، وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى

«اهدنا الصراط المستقيم» قال ذاك الاسلام. ورواه السدى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ «اهدنا الصراط المستقيم» قالوا هو الاسلام، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر «اهدنا الصراط المستقيم» قال هو إلاسلام أوسع مما بين السماء والأرض.

وقال ابن الحنفية فى قوله تعالى «اهدنا الصِّراط المستقيم» قال هو دين الله الذى لايقبل من العباد غيره. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم«أهدنا الصراط المستقيم» قال هو الاسلام. ويشير الى ذلك أيضا قول الله تعالى ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾﴾[1] أى أن سبيلى ودينى مستقيما واضحا لا اعوجاج فيه وهو الإسلام، روى ابن جرير أن رجلا قال لابن مسعود رضى الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ فى أدناه وطرفه فى الجنة، وعن يمينه جواد، وعن يسارة جواد، ثم رجال يدعون من مرّ بهم، فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به الى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود «وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

وهذا الحديث الذى رواه الإمام احمد فى مسنده عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سور ان فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولاتعوجوا، وداًع يدعو من فوق الصراط، فاذا اراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لاتفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم»[2]. وقال مجاهد «اهدنا الصراط المستقيم» قال:الحق، وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ماتقدم، وقال ابن أبى العالية «اهدنا الصراط المستقيم» قال هو النبىﷺ وصاحباه من بعده «ابو بكر وعمر رضى الله عنهما».

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) رواه الإمام احمد فى مسنده والترمذى والنسائى، وهو إسناد حسن صحيح والله أعلم.

وذُكر ذلك للحسن رضى الله عنه فقال: صدق أبو العالية ونصح.

قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال صحيحة، ومتلازمة فان من اتبع النبى ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبى بكر وعمر فقد اتبع الحق، ومن اتبع الحق فقد اتبع الأسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ولله الحمد ـ وروى الطبرى عن عبدالله بن عمر قال الصراط المستقيم الذى تركنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله: والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى أعنى «اهدنا الصراط المستقيم» أن يكون معنيا به: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النبى ﷺ، ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل ذلك من الصراط المستقيم.

وهو الطريق المستقيم وهو كل مايوصل الى سعادة الدنيا والآخرة.

ولقد قال سفيان: فى هذا المقال كلاما حسنا، فيما أخرجه ابن منصور وابن المنذر والبيهقى عنه قال: ليس فى تفسير القرآن أختلاف وإنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا. وأخرج أبو نعيم عن أبى قلابه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: إنك لاتفقه كل الفقة حتى ترى للقرآن وجوها «الذين أنعم الله عليهم».

المطلب الثالث

«صراط الذين أنعمت عليهم»

قال الإمام محمد عبده: «ذهب بعض العلماء إلى أن المنعم عليهم هم المسلمون غير أن الأدلة لا تنهض فى هذا الرأى بل تعارضه لأن المسلمين وصحابة رسول الله ﷺ أمروا أن يقولوا «اهدنا الصراط المستقيم» وكانت الفاتحة أول سورة نزلت من القرآن كما يقول الإمام على رضى الله عنه، أو من أوائل السور كم قال غيره. ولم يكن المسلمون فى أول نزول الوحى بحيث يطلب الإهتداء بهداهم، وما هداهم إلا من الوحى، ثم هم المأمورون بأن يسألوا الله أن يهديهم هذه السبيل، سبيل من أنعم الله عليهم، ولا يكون هؤلاء إلا غير الصحابة ممن سبقهم من الأمم الماضية» ثم قال: وإنما المراد بهذا ما جاء فى قوله تعالى ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾**﴾[1] أى من الأمم السابقة.

ويراد من النعمة، نعمة الدين، وقد يضاف إليها نعمة الدنيا الخادمة والممهدة لنعمة الدين، وعلى هذا جرى جمهور المفسرين، أى أن المنعم عليهم هم الأربعة المذكورون فى الآية السابقة.

ومن ثم المراد من الآية «صراط الذين أنعمت عليهم» أى طريق المؤمنين الذين أنعمت عليهم بالإيمان..

وطريق المسلمين الذين هديتهم من لدن آدم إلى الآن فارتضيت لهم الإسلام دينا وسميتهم المسلمين.. صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الأمم السالفة. اهدنا صراطهم الإيمانى، وطريقهم العقيدى لنسلكه، فنسلك فى عدادهم ونحشر معهم..

---

(١) سواة النساء: الآية ٦٩.

وهنا سوال وهو : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع ما تقدمنا وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم، وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده؟

والقرآن يبين لنا الجواب، وهو أنه يصرح بأن دين الله فى جميع الأمم واحد، وإنما تختلف الأحكام بالفروع التى تختلف باختلاف الزمان، وأما الأصول فلا خلاف فيها، قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾** ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾** ﴾(٢).

فالإعتقاد بالله وبالنبوة وبترك الشر وبعمل البر والتخلق بالأخلاق الفاضلة مستو فى الجميع، وقد أمرنا الله بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا إليه، فنقتدى بهم فى القيام على أصول الخير، وهو أمر يتضمن الدليل على أن فى ذلك الخير والسعادة على حسب طريقة القرآن فى قرن الدليل بالمدلول، والعلة بالمعلول، والجمع بين السبب والمسبب، وتفصيل الأحكام التى هذه كلياتها بالاجمال نعرفه من شرعنا ونبيا عليه الصلاة والسلام.

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) النساء: ١٦٣- ١٦٤.

المطلب الرابع

«غير المغضوب عليهم ولا الضالين»

هذه الآية من تمام الدعاء المبدوء بقوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم».

فمن المغضوب عليهم؟ ومن الضالون؟

للعلماء آراء نذكرها فيما يلى: ذهب ابن كثير الى أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن الضالين هم النصارى، للحديث الذى رواه أحمد بن عدى بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم»

قال هم اليهود

«ولا الضالين»

قال النصارى(١).

وأبدى ابن كثير رأيه فى هذا فقال: كل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى عنهم: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾(٢).

وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى عنهم ﴿**قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾(٣).

قال ابن أبى حاتم: لا أعلم فى هذا خلافا عن المفسرين.

وأخرج احمد وأبو داود وابن حيان عن الشريد قال مرّ بى رسول الله ﷺ، وقد

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وعبد بن حميد والترمذى وحسنه وابن حبان صحيح.

(٢) المائدة: ٦٠.

(٣) المائدة: ٧٧.

obeikandl.com

وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى واتكأت على إلية يدى، قال: أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟! قال الطيبى[1]: والمراد من المغضوب عليهم اليهود ثم قال وفى التخصيص بالذكر فائدتان: إحداهما أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى ـ والأخرى: أن المسلم ممن أنعم الله عليه ينبغى أن يتجنب التشبه بمن غضب الله عليه.

ولم يشذ عن القول بأن المغضوب عليهم هم اليهود إلا المكارى فقد تتبع هذا الحديث وقال فى كون اليهود هم المراد من المغضوب عليهم فى الحديث السابق محل بحث، وتتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم!

قال والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أمم من الكفار والفجار المتكبرين المتجبرين ممن تظهر آثار الكبر والعجب عليهم من قعودهم ومشيهم ونحوهما.

وأضاف ـ والظاهر أن عكس فعله أيضا يتعلق به الإنكار، وكذا وضع اليدين معا وراءه متكئا عليهما من قعدة المتكبرين.

ويرى الإمام محمد عبده: أن المختار فى تفسير المغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به، والذين بلغهم شرع الله تعالى ودينه فرفضوه، ولم يتقبلوه انصرافاً عن الدليل. كالوجوديين والشيوعيين مثلا.. وغضب الله تعالى لايشبه غضبنا فقد يفسر الغضب بلازمة وهو العقاب، ويذهب السلف الى أنه شزنمن شئون الله الله تعالى يترتب عليه عقوبته وانتقامه.

أما الضالون فهم الذين لم يعرفوا الحق البتة، أو لم يعرفوه على الوجوجه الصحيح، ويقسم الإمام محمد عبده الضالين الى أقسام:

(أ) من لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة أو بلغتهم عن وجه لايسوق الى النظر.

(ب) من بلغته الدعوة على وجه يبعث على النظر فاجتهد غير أنه لم يوفق.

---

(١) الطيبى: هو الحسين بن محمد من علماء الحديث والتفسير، قال عنه العسقلانى: كان الطيبى آية فى استخراج الدقائق من القرآن والسنن، توفى سنة ٧٤٣هـ.

(جـ) من بلغتهم الدعوة والرسالة فصدقوا بها من غير نظر فى أدلتها فاتبعوا أهواءهم فى فهم ما جاءت به.

(د) ضلال فى الأعمال وتحريف فى الأحكام عما وضعت له.

وذهب الإمام الفخر الرازى فى تفسيره للمغضوب عليهم وللضالين الى آراء أهمها: أن المغضوب عليهم هم اليهود أو الفساق والذين أخطأوا فى الأعمال الظاهرة أو الكفار، والضالين هم النصارى أو من أخطأوا فى الإعتقاد أو المنافقون، غير أنه ضعف الرأى القائل بأنهم اليهود والنصارى، ورجح الرأى القائل بأنهم الكفار والمنافقون وأقام الدليل على ذلك قائلا: إن هذا الرأى موافق لما جاء فى القرآن، فى أول سورة البقرة حيث ذكر المؤمنين ثم الكافرين ثم المنافقين، وهكذا فى سورة الفاتحة:

«أنعمت عليهم» «المغضوب عليهم» «الضالين».

واختلف فى حقيقة لا فى قوله تعالى «ولا الضالين» إلى آراء أهمها مايلى:

١- قال الطبرى: هى زائدة، ومنه قول تعالى﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ** ﴾(١).

وأيد ذلك الخفاجى(٢) قائلا: إنها زائدة عند أهل البصرة، وإنما تزاد بعد الواو العاطفة فى سياق النفى للتأكيد أو التصريح بشمول النفى لكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه لئلا يتوهم النفى للمجموع من حيث هو مجموع، فليست زيادتها مؤدية الى لغويتها، وإنما ذلك بحسب أصل المعنى المراد.

٢- قال الكوفيون: هى بمعنى «غير».

٣- وقال غيرهم هى «للتأكيد».

والغضب هو تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة القلب.

---

(١) الأعراف: ١٢..

(٢) الخفاجى: هو أحمد بن محمد الفقيه واللغوى والأديب المصرى، توفى عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م.

المبحث الثالث

«آمين» والأحكام المتعلقة بها

معنى «آمين» استجب يا الله فلفظها دعاء مشروع.

قال ابن عباس قلت يارسول الله: مامعنى آمين؟ قال «رب افعل».

وقال الجوهرى معن آمين كذلك فليكن. وقال الترمذى: معناه لاتخيب رجاءنا. وقال الأكثرون معناه: اللهم استجب لنا.

صلتها بالفاتحة

هى ليست من القرآن إجماعا، ولذا سن الفصل بينها وبين آخر الفاتحة بسكتة لطيفة، أما ماروى عن مجاهد أنها من السورة فلا ينبغى أن يلتفت إليه، لإنها لم تكتب فى المصحف الإمام ولا فى المصاحف أصلا ولهذا لم نرستدا لقول مجاهد رضى الله عنه.

مشروعيتها

روى ابن أبى شيبة والبيهقى عن أبى ميسرة أن جبريل أقرأ النبى ﷺ فاتحة الكتاب فلما قال ولا الضالين قال له قل آمين فقال: أمين.

موضعها

بالنسبة للمنفرد فى صلاته أو الإمام لاخلاف إذهى بعد «ولا الضالين». أما بالنسبةللمأموم فقيل تأمينه بعد قول الإمام آمين، وقيل تأمينه مع الإمام أى مصاحبا له.

فوائدها.. وثمرتها

١- التفضل من الله تعالى بالإجابة لعبادة المؤمنين. روى ابن مردويه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين» وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد

قبلى إلا أن يكون موسى كان موسى يدعو وهارون يؤمِّن فاختموا الدعاء بآمين فإن الله يستجيبه لكم».

٢- محبة الله تعالى: أخرج مسلم وغيره عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال إذا قرأ - يعنى الإمام - غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا آمين، يجيبكم الله، ومن أجل ذلك كان بلال يقول: لاتسبقنى بآمين يارسول الله، وكان أبو هريرة ينادى الإمام لاتفتنى بآمين كما رواه البخارى عنه، وعن البيهقى أن أبا هريرة كان يؤذن لمروان فاشترط أن لايسبقه بالضالين، وكأنه كان ينشغل بالإقامة تعديل الصفوف، وكان مروان يبادر إلى الدخول فى الصلاة قبل فراغه، فنهاه أبو هريرة عن ذلك.

٣- غفران الذنب: روى الشيخان[١، ٢] قوله ﷺ: إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من

---

* الشيخان «البخارى ومسلم..»

(١) الامام البخارى: هو الإمام العلم حبر الاسلام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى الجعفى صاحب الصحيح فى حديث الرسول ﷺ، وصاحب التصانيف الجليلة، ولد ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة، وارتحل فى طلب العلم، وسمع من الف شيخ، وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاء، ولم يخلف بعده مثله، وعن أبى اسحق الريحانى ان البخارى كان يقول: صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى وقال مسلم للبخارى: لايعيبك إلا حاسد، وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وكان يقول: أرجو أن ألقى الله عز وجل لايحسبنى أنى اغتبت أحداً، وكان لايضع حديثًا فى كتابه الصحيح إلا ويصلى بعده ركعتين شكرا لله، ثم جاء البخارى إلى خزنتك، وهى قرية من قرى سمرقند، على بعد فرسخين منها، ونزل على أقرباء له بها، ثم دعا بالليل فقال: اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك. فما تم الشهر حتى قبضه الله عز وجل اليه، وقبره بخرتنك، وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، ومناقبة كثيرة.

(٢) الإمام مسلم: هو أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح، وأحد أركان الحديث، ولد سنة أربع ومائتين، وجال فى طلب العلم فى بلاد كثيرة، وكان من الثقات المأمونين - قال: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة حديث مسموعة وقال الخطيب البغدادى: كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش مابينه وبين محمد بن يحيى الذهلى بسببه. وكتابه الصحيح حسن التصنييف قليل التكرار، وبعضهم يفضله على البخارى، ولكن أهل الإتقان والتحرى يرون البخارى أدق وأصح وأوسع فى صناعة الحديث، وروى عن مسلم أنه كان صاحب تجارة بخان بحمس بنيسابور، وكان له أملاك وثروة، وتوفى رضى الله عنه سنة إحدى وستين ومائتين.

وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» فهذاالحديث يفيد أن الله يغفر ذنب المأموم الذى وافق تأمينه تأمين الملائكة.

نفحات من السنة وردت فى التأمين

١- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه»(١).

٢- وقال وائل بن حجر: سمعت رسول الله ﷺ قرأ «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقال آمين يمد بها صوته»(٢).

٣- عن ابى هريره(٣) رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ اذا تلا: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال «آمين» يسمع من يليه من الصف «الصف الأول»(٤).

٤- قال ابن شهاب(٥) كان رسول الله ﷺ يقول «آمين»(٦).

---

(١) اخرجاه فى الصحيحين.

(٢) رواه احمد وابو داود والترمذى.

(٣) هو الصحابى الجليل المعروف أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوس، كانت له هرة صغيرة فكنوه بها، وكان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق، وكان أحفظ الصحابة وأكثرهم رواية لحديث رسول الله ﷺ، زادت مروياته عن مسة الاف حديث، وولاه الرسول ذات مره ولاية المدينة، وكان فقيرا يخدم الناس قبل صحبته لرسول اللهﷺ على ملء بطنه، وكان لا يسأل الناس شيئا رغم ذلك. ورفع يوما على جاريته سوطا ثم قال: لولا خوف القصاص لأوجعتك، ولكن سأبيعك لمن يوفينى ثمنك، أذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى. وكان يقول: المرض لايدخله رياء ولاسمعه، بل هو أجر محض، ومع هذا كان فى أبى هريرة دعابة. كان أثناء الخلاف بين على ومعاوية يصلى خلف على ويأكل على سماط معاويةويعتزل القتال، ويقول: الصلاة خلف على أتم، وسماط معاوية أدسم، وترك القتال أسلم.. أسلم عام خيبر سنة سبع، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل، ولما حضره الوفاة بكى فقيل له فى ذلك فقال: أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى، وأنى أصبحت على مهبط جنة أونار لا أدرى أيهما يأخذ بى. توفى فى خلافة معاوية سنة سبع وخمسين وله من العمر ثمان وسبعون.

(٤) رواه ابو داود ابن ماجة وقال: حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتجع بها المسجد

(٥) ابن شهاب الزهرى: تابعى كان يحفظ ألفين ومائتى حديث نصفها مُسْتد، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه، توفى سنة ١٢٤هـ.

(٦) رواه الجماعة إلا أن الترمذى لم يذكر قول ابن شهاب

٥- وفى رواية «إذا قال الإمام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا «آمين» فإن الملائكة تقول «آمين» وإن الإمام يقول «آمين» فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه»(١).

وهذه الاحاديثوغيرها مما ورد فى صحاح الحديث ومؤلفات التفسير أفادت جميعها أن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه، كما أفادت محبة الله لمن يقولها فى صلاته ودعائه، ومن أحبه الله تفضل عليه بإجابة دعائة، وكانت أعماله مقبولة عند ربه وذلك كله ببركة «آمين».

من هم الملائكة المؤمِّنون؟

أى الذين يقولون «آمين».

١- قيل هم الحفظة، ووجه الاعتراض على ذلك بما رواه مسلم عن النبى ﷺ فى الحديث اللاحق، انهم ملائكة السماء.

٢- ومن ثم قيل: هم ملائكة السماء، لما رواه مسلم عن رسول الله ﷺ قال «اذا قال أحدكم فى الصلاة «آمين» والملائكة فى السماء «آمين» فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه».

٣- وقيل هم الملائكة الذين يشهدون الصلاة، سواء كانوا ملائكة الأرض أو ملائكة السماء. لذلك قال ابن حجر فى الفتح والذى يظهر أن المراد من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن فى الأرض أو فى السماء.

ومن حيث نوع موافقة تأمين المأموم لتأمين الملائكة

فقد اختلف فى ذلك أيضا:

١- الموافقة فى القول والزمان، ونقل عن ابن المنير: أن الحكمة فى إيثار الموافقة فى القول والزمن،أن يكون المأموم على يقظة للاتيان بالوظيفة فى محلها،

---

(١) رواه احمد والنسائى.

obeikandl.com

لأن الملائكة لاغفلة عندهم، فمن وافقهم كان مستيقظا، ونقل عنه أيضا قوله: وأى فضل أعظم من كونه قولا يسيراً لا كلفه فيه، ثم قد ترتبت عليه المغفرة.

٢- قال الحافظ المراد بتأمين الملائكة استغفارهم للمؤمنين.

٣- وقال ابن حبان: الموافقة فى الاخلاص والخشوع، لأنه قد يتيّسر للمأموم مع توفير اليقظة بخلاف الأول، فإن الموافقة لايستطيع المأموم تحديد زمانها بالحرف والكلمة حتى يوافق تأمينه تأمين الملائكة.

٤- قال ابن عربى فى كتابه الفتوحات المكية: من وافق تأمينه تأمين الملائكة موافقة طهارة وتقديس ذوات كرام بررة، أجابه الحق عقب قوله آمين باللسانين.

٥- يقول ابن العربى المعافرى فى كتابه أحكام القرآن[1]: فترتيب المغفرة للذنب على أربع مقدمات، ذكر منها ثلاثًا وأمسك عن واحدة لأن ما بعدها يدل عليها؛ المقدمة الأولى: تأمين الإمام؛ الثانية: تأمين من خلفه، الثالثة: تأمين الملائكة؛ الرابعة: موافقة التأمين. فعلى هذه المقدمات الأربع تترتب المغفرة وإنما أمسك عن الثالثة اختصارًا لاقتضاء الرابعة لها فصاحة.

حكم التأمين

للعلماء فى ذلك آراء:

١- الأمر للندب: قاله الحافظ عن الجمهور.

٢- الأمر للوجوب: حكاه ابن بزيزه عن بعض أهل العلم عملا بظاهر الأمر.

٣- وجوب التأمين على كل من يصلى، ذهب إليه أهل الظاهر.

٤- التأمين بدعة: حكاه المهدى فى البحر عن العترة جميعا، وقد استدل صاحب

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى: ١/٦.

البحر على أن التأمين بدعة بحديث معاوية بن الحكم السلمى وهو « إن هذه صلاتنا لا يصلح فيها شىء من كلام الناس».

وجملة القول: أن التأمين فى الصلاة مشروع بنص الأحاديث الصحيحة الصريحة، فلا وجه لمنعه بعموم أحاديث أخرى لا تنافيها ولو عارضتها لوجب ترجيحها عليها، إذ أن أحاديث التأمين صحيحة صريحة مثبتة للعمل بها كما قلنا.

ويمكن الرد على من ادعى بأن التأمين بدعة، بأن عليّا رضى الله عنه أثبت التأمين بفعله وروايته له عن النبى ﷺ فى كتب أهل البيت وغيرهم.

ويؤيد ذلك أيضا ما حكاه الإمام محمد ابراهيم الوزير عن الإمام المهدى محمد بن المطهر، وهو أحد أئمتهم المشاهير أنه قال فى كتابه «الرياض الندية»: ان رواة التأمين جم غفير، قال: وهو مذهب زيد بن على، واحمد بن عيسى، كما رد عليهم بأن حديث: «إن هذه صلاتنا لايصلح فيها شىء من كلام الناس» عام، وأحاديث التأمين خاصة، كما أن المراد بكلام الناس فى الحديث هو تكليمهم، لأنه اسم مصدر كما يدل على ذلك السبب المذكور فى الحديث، وهو أن معاوية بن الحكم السلمى شمت عاطسا فى الصلاة مع النبى ﷺ، فرماه القوم بأبصارهم، فقال: واثكل أماه مالكم تنظرون الى؟ قال فذكر الحديث السابق.

قاعدة: التأمين فى الدعاء ملازم له، سواء إذا دعا غيرك فأمنته على دعائه أو عقب دعاء الرجل لنفسه أو لغيره.

مثال(١) يقول الله تعالى حاكيا عن دعوة نبى الله موسى عليه السلام على فرعون وحاشيته ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾**﴾ [يونس: ٨٨]. فأجاب الله الدعاء ﴿**قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾**﴾ [يونس: ٨٩].

فى الآية [٨٨] نجد أن الذى دعا هو موسى عليه السلام وحده، بينما نرى فى

الآية [٨٩] أن الله تعالى يبشر اثنين باستجابة دعائهما ويخاطبهما بالتثنية (دعوتكما، استقيما، تتبعان) فموسى دعا، وأخوه هارون أمَّن على دعائه، وعليه نستنبط هذه القاعدة أيضًا: أن من أمّن على دعاء كمن دعايه، ولهذا قال بعض الفقهاء: لا يقرأ المأموم لأن تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها.

ومثال (٢) يروى عن أبى زهير النميرى قال: خرجنا مع النبى ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألحّ فى المسألة، فوقف النبى ﷺ يستمع منه، فقال النبى ﷺ «أوجب إن ختم» فقال الرجل من القوم: بأى شىء يختم يا رسول الله؟ قال: «آمين» وانصرف، فقيل للرجل: يا فلان اختم بآمين، وابشر (رواه أبو داود).

على ضوء ما سبق نستطيع القول بأن الله تعالى رسم لعباده الطريق الأمثل فى الدعاء، وحدد صورته الفضلى الجامعة لكل خير يرفع صاحبه الى مصاف ملائكته تعالى، ولم تكتف عدالة الله تعالى بهذا فقط بل جعل جل جلاله هذا الدعاء الذى ختم به سورة الفاتحة أمراً واجباً فى اليوم والليلة بما يزيد على سبع عشرة مرة بما يكفل له الرضا والقبول عند الله تعالى.

فقد استقر معظم فقهاء الإسلام على أن الفاتحة فرض فى كل ركعة من ركعات الصلاة، وقول الله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

جزء من هذه السورة المفروضة فى الصلاة، سواء كانت تلك الصلاة فرضا أو نفلا، لهذا أخذ هذا الدعاء صورة الفرض العينى على كل مكلف. وضح بهذا، أن الله تعالى صاغ لعباده أبلغ الأساليب للاتصال به، وأوجب على المسلمين أعظم تركيب بيانى للاستجاء به، كما ألزمهم بتكراره فى أوقات الليل والنهار وفيها من ساعات القبول ولحظات الرضا ما فيهما، وأن هذه الآية لمن أقوى الأدلة على أن أمر الله تعالى عبادة بالدعاء، فى غير هذه الآية محمول على الوجوب لا الندب، وكيف لايكون كذلك وهو الذى أودع كل ما فصله فى قرآنه المجيد فى سورة الفاتحة التى هى أم القرآن.

هذه هى الفاتحة «من أعلى الكلام فصاحة وبلاغة وجمعا للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة، واشتمالا على مهمات الدين من صفات الله التى تجذب قلب من تدبرها الى حبه، وتنطق لسانه بحمده، وتعلى همته بتوحيده، وتهذب نفسه بمعانى أسمائه وصفاته واحاطة ربوبيته وملكه، وتذكره يوم الدين الذى يجزى فيه على عمله، وتوجه وجهه الى السير على الصراط المستقيم فى خاصة نفسه، وفى معاملة الله، ومعاملة خلقه، وتذكره بالقوة الصالحة فى ذلك باضافة الصراط الذى يتحرى الاستقامة عليه، ويسأل الله توفيقه دائماً له، الى من أسبغ الله عليهم نعمه ومنحهم رضوانه، وجعلهم هداة خلقه بأقوالهم وأسوتهم الحسنة فى أفعالهم، مثال الكمال فى آدابهم وأخلاقهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وتحذّره من شرار الخلق الذين يؤثرون الباطل على الحق، ويفضلون الشر على الخير على علم منهم بذلك وهم المغضوب عليهم، أو على جهل به كالذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم الضالون»[1].

ويقول الشيخ محمود شلتوت[2]: «إن المتتبع للقرآن جميعه الواقف على مقاصده ومعارفه يرى أنه جاء تفصيلا لما أجملته هذه السورة، وحددته من طريقى الكمال الانسانى فى قوتيه: قوة النظر والعلم وقوة الكسب والعمل».

ويقول الشيخ محمد عبده[3]: «إن الفاتحة مشتمله على إجمال ما فصل فى القرآن حتى من الأخبار التى هى مثل الذكرى والاعتبار وينبوع العظمة والاستبصار، وأخبار القرآن تنطوى فى إجمال هذه الآية: «صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

مفاهيم وقواعد.. وكليات وأصول.. وتواريخ وأحداث.. وصور ومشاهد.. كل ذلك تضمنته فاتحة الكتاب فكانت دفقة من دعاء وشحنة من ابتهال يكمن فيها قوة

---

(١) ص: ٧٨ من تفسير المنار.

(٢) ص ٤٦ من تفسير شلتوت.

(٣) سورة الفاتحة لأن سورة الفاتحة لها أكر من عشرين إسما منها الشفاء، وأم الكتاب وفاتحة الكتاب.

عدة يتزودها الداعى، ويتسلح بها الذاكر، يشحن بها طاقته ويشحذ بها إيمانه، ويدمج بها معرفته ويقينه، يدعو بها بعد أن يستقرئ كل متضمناتها، ويستتبعه بعين البصير الفاحص المتأمل، ويقلب المؤمن الخاشع الوجل وبإحساس المتدين الذى يتعظ بالذكرى، ويعتبر بالنهايات، ويعتقد فى عمق وقوة بهذه القواعد وتلك النواميس.

جاء فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل، فاذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله: «حمدنى عبدى» فاذا قال: الرحمن الرحيم» قال الله: أثنى على عبدى» فإذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله: «مجدنى عبدى»، وإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال الله: «هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل»، وإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال« هذا لعبدى ولعبدى ما سأل».

سؤال.. وجواب

يقول السيد محمد رشيد رضا: لقد قطع شيخنا الإمام: «محمد عبده»: بأن فاتحة الكتاب أول سورة نزلت من القرآن الكريم، وهو مروى عن علىّ كرم الله وكهه، واستدل على ذلك بوضعها فى أول القرآن الكريم بالإجماع، وموضوعها الشامل لمقاصده الكلية بالإجماع الذى عمل به وجه تسميتها.، وذهب الجمهور الى أن أول ما نزل من القرآن هو أول سورة العلق.. فكيف كان ذلك؟

والجواب.. أنه يمكن الجمع بين هذين الرأيين، بأن أول مانزل من القرآن هو أول سورة العَلَقَ، وأول سورة كاملة تامة نزلت هى سورة الفاتحة والدليل على ذلك أن بقية آيات سورة العلق نزلت بعد فريضة الصلاة، وكانت الصلاة تؤدى بقراءة «فاتحة الكتاب»، وجاء فى سورة العلق ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠﴾[1]. وقد وضعت هذه السورة، أى العلق فى قصار المفصل من أخر القرآن.

---

(١) العلق: ٩، ١٠.

المبحث الرابع

الآية الثانية: فى سورة النساء، قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾**﴾[1]. . أفادت الآية التأدب عند مباشرة الدعاء. . وشاهدنا فى هذه الآية هو قوله تعالى: «واسألوا الله من فضله» حيث يتجلى فيه وضوح الأمر الإلهى إلى العباد ليسألوه تعالى من الآئه ونعمه وخيراته التى بثها فى الوجود كله، لذا يغلب على هذا السؤال الجانب المادى، فتكون هذه الآية، وآية الفاتحة «اهدنا الصراط المستقيم» قد جمعتا خيرى الروح والمادة للإنسان المؤمن، ولأجل الوقوف على معنى الآية يجمل بنا أن نبين جهة الربط بينها وبين ماسبقها من آيات، وأن نذكر الآراء التى وردت فى سبب نزولها.

صلة الآية بما قبلها

الآيات المتقدمة على هذه، وهى قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾**﴾[2]. قال القفال رحمه الله تعالى.

لما نهى الله تعالى المؤمنين فى الآيات المتقدمة على هذه الآية، عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتل النفس، بعد هذا أمرهم فى هذه الأية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات وهو أن يرضى كل أحد بما قسم الله له، فإذا لم يرض بذلك وقع فى الحسد، وهذا بدوره يوقعه لا محالة فى أخذ الأموال بالباطل، وفى قتل النفوس. فأما إذا

---

(١) النساء: ٣٢.

(٢)النساء: ٢٩ - ٣١.

رضى بما قدره الله، أمكنه الاحتراز عن الظلم فى النفوس، وفى الأموال. أو يقال أن الإسلام يحرص كل الحرص على طهارة الإنسان ظاهراً وباطنا.

وطهارة الظاهر تستفاد من قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»..»، وطهارة الباطن تستفاد من قوله تعالى: «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض... الآية». فتفيد الآية الأولى تظهير الجوار من أكل أموال الناس بالباطل، ومن قتل النفس، وتفيد الآية الثانية: تطهير القلب من التعرض لأموال الناس وأنفسهم من طريق الحسد. فهذا الذى سقناه، وما ذكرناه من حيث القفال إنما ينتهى الى هدف واحد ألا وهو الرضا بما قسم الله للعبد دون التعرض لما فى أيدى الناس، سواء كان هذا التعرض عن طريق الحسد أو الغبطة. إذا الأول محرم مذموم، والثانى قد يجر الانسان الى مالايحمد عقباه فزولى به تركه وإن كان جائزا.

أسباب النزول

أما أسباب نزول هذه الآية فكثيرة.. نذكر منها مايلى:

١- قال الإمام احمد حدثنا سفيان[١] عن أبى نجيح عن مجاهد[٢] قال: قالت أم

---

(١) سفيان الثورى: سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من مضر، أمين المؤمنين فى الحديث، سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى، له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير وكلاهما فى الحديث. توفى بالبصرة عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م.

(٢) هو الإمام أبو الحجاج مجاهد بن جبر، وفى الطبقات ابن حنين، الحبر المكى، الذى قال فيه خصيف: كان أعلمهم بالتفسير. والذى حدث عن نفسه فقال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، وقال له ابن عمر: وددت أن نافعا يحفظ حفظك! وقال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا أعطاه وطاووساً ومجاهداً. وقال الأعمش: كنت إذا رأيت مجاهدا تراه مغموما! فقيل له فى ذلك فقال: أخذ عبدالله بن عمر بيدى ثم قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى وقال لى «ياعبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ومن كلام مجاهد: لايكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا، ومضطجعا. ويقول: ليس أحدا إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبى ﷺ. ويقول: يؤمر العبد الى النار فيقول: يارب، ما كان هذا ظنك بى، وأنت أعلم، فيقول الله عز وجل وهو أعلم: ما كان ظنك بى؟ فيقول: أن تغفر لى، فيقول الله تعالى: خلوا سبيله. وكان يقول: ليكن آخر كلام أحدكم عند منامه «لا إله إلا الله» فإنها وفاة لايدرى لعلها تكون منيه. مات رضى الله عنه بمكة وهو ساجد، سنة ثلاث ومائة كما فى الشذرات. وفى الطبقات: سنة ثنتين ومائة، وعمره كان فيهما ثلاث وثمانون سنة.

سلمة: يارسول الله تغزو الرجال ولاتغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله «ولاتتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض»[1]

٢- وقال عبدالرازق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكه قال: نزلت هذه الآية فى قول النساء: ليتنا الرجال، فنجاهد كما يجاهدون، ونغزو فى سبيل الله عز وجل.

٣- وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى الآية قال: أتت امرأة الى النبى ﷺ فقالت يارسول الله: للذكر مثل حظ الانثتين وشهادة امرأتين برجل، أفنحن فى العمل هكذا إن فعلت إمرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فأنزل الله هذه الآية «ولاتتمنوا» الآية، . . فإنه عدل منى وأنا صنعته.

٤- وقال السدى: لما نزلت آية المواريث قال الرجال: نرجو أن نفضل على النساء فى الآخرة، كما فضلنا فى الميراث، وقالت النساء: نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، فنحن أحوج لأنا ضعفاء، وهم أقدر على طلب المعاش، فنزلت الآية.

٥- وقيل أيضا فى سبب نزول الآية أن واحدة من النساء أتت الى رسول الله ﷺ وقالت: رب الرجال والنساء واحد، وأنت الرسول الينا واليهم ، وأبونا آدم وأمنا حواء، فما السبب فى أن الله يذكر الرجال ولايذكرنا. . فنزلت الآية.

فقالت: وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا؟!

فقال ﷺ «إن للحامل منكن أجرا الصائم القائم، فاذا ضربها الطلق لم يدر أحد مالها من الأجر، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة أجر إحياء نفس.

٦- وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت لو أن لى مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله. وفى الحديث الشريف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ

---

(٣) النساء: ٣٢.

«سلو الله من فضله، فان الله يحب أن يسأل، وان أحب عباد الله الى الله الذى يحب الفرج»[1].

ولعل المراد من كسب الرجال والنساء الكسب الدنيوى أو الاخروى أوهما معا. وقد نهت الآية الكريمة عن تمنى نعمة الغير «ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» أى فى الأمور الدنيوية وكذا الدينية «للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» أى كل له جزاء على عمله بحسبه، إن خير فخير، وان شر فشر، هذا قول ابن جرير، وقيل المراد بذلك فى الميراث أى كلٌ يرث بحسبه. ثم أرشدهم الحق تبارك وتعالى الى مايصلحهم فقال «واسألوا الله من فضله» أى لاتتمنوا ما فضلنا به بعضكم فان هذا أمر محتوم، أى أن التمنى لايجدى شيئا، ولكن سلونى من فضلى أعطكم فإنى كريم وهاب.

والسؤال إن كان فى صورة الأمر ففى الهمزة رأيان:

الأول: حذفها وهى قراءة ابن كثير والكسائى وهذا مشروط بأن يكون أمرا من السؤال، ويشترط أن يكون مسبوقا بالواو والفاء.

الثانى: بقاء الهمزة وهو الأصل.

أما إذا كان الأمر للغائب فالاتفاق على بقاء الهمزة، وكذلك اعراب «من فضله فيه رأيان:

(أ) قال أبو على الفارسى إنه فى موضع المفعول الثانى والمفعول الأول هو لفظ الجلاله.

(ب) قال سيبويه هو صفة حلت محل المفعول الثانى والتقدير «اسألوا الله نعمة من فضله».

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية.

الفـوائد

١- فبعد أن نهى الله تعالى المؤمنين عن تمنى ما فى يد الغير خشية أن يكون ما يتمناه المرء سببا فى جلب الضر له، علّمهم الحق تبارك وتعالى كيف يكون الطلب من الله جل شأنه، وكيف يراعى المسلم فيه الذوق والأدب والتحشم، فلا ينبغى للسائل أن يسأل ربه أن يعطيه مثل ما أعطى فلانا أو علانا.. لان ذلك فضلا عن كونه لون من ألوان الحسد منهى عنه، ففيه سوء أدب فى الطلب، فهو وان كان قد حدد طلبه مع الله، فإنه لم يفوض الأمر له فيما يتمنى ويرجو!!

وقد أرشدنا الله الى أفضل مايدعو به المؤمن أن يقول ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[١].

٢- وان فى ذكر المفعول الثانى على هذه الصورة وهى قوله تعالى «من فضله» لحامل قوى للمرء على وجوب مراعاة التأدب مع الله تعالى فى السؤال والطلب، كما أنه تنبية له، فلايجوز له ان يعين شيئا فى الدعاء والطلب، ولكن عليه أن يسأل الله تعالى من فضله مافيه صلاح دينه ودنياه على الاطلاق

٣- ثم ذيلت الآية بما يفيد جهل الانسان بمصالحه، وإحاطة علم الله تعالى بكل شىء. فقال تعالى «إن الله كان بكل شىء عليما» أى هو عليم بمن يستحق الدنيا فيعطيه منها، وبمن يستحق الفقر فيفقره، وعليم بمن يستحق الآخرة فيقيّضه لأعمالها، وبمن يسحق الخذلان فيخذله عن تعاطى الخير وأسبابه[٢]. فعلى الداعى ان يفوض أمره الى الله تعالى فى دعائه، لأنه العليم بما يصلح للسائلين من عباده، فليقتصر السائل على المجمل من الطلب، وليتجنب التحديد والتعيين فى دعائه، فربما كان مطلوبه الذى عينه وحدده مصدر شره وعقابه وخسرانه، وسبب نكده وآلامه.

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير فى تفسير هذه الآية.

وروى قتادة[1] عن الحسن رضى الله عنه أنه قال: «لايتمن أحد المال فلعل هلاكه فى ذلك المال» ولهذا قال المحققون: لايجوز للإنسان أن يقول اللهم اعطنى داراً مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان، بل ينبغى أن يقول: اللهم اعطنى ما يكون به صلاح دينى ودنياى ومعادى ومعاشى.

(١) هو الحافظ الضرير مفسّر الكتاب أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى، عالم أهل البصرة فى زمنه، كان آية فى الحفظ، إمامًا فى النسب، رأسًا فى العربية واللغة وأيام العرب، ومن قوله عن نفسه: ما قلت لمحدث قط أعد علىّ، وما سمعت شيئًا إلا وعاه قلبى، وقال فيه شيخه ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس. وقال معمر: سمعت قتادة يقول: ما فى القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئًا. ومات بمدينة واسط فى الطاعون سنة سبع عشرة ومائة، وقيل ثمان عشرة ومائة.

obeikandl.com

الخلاصة

بعد مناقشة الأوامر الإلهية بالدعاء التى وردت فى القرآن الكريم فى هذا الباب.. يتبين لنا أن الأمر الإلهى بالدعاء للوجوب غير أنه ورد فى كتاب الأذكار للإمام النووى فى باب آداب الدعاء.. قوله: «اعلم أن المذهب المختار الذى عليه الفقهاء والمتحدثون، وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف: أن الدعاء مستحب، قال الله تعالى «وقال ربكم ادعونى استجب لكم» وقال تعالى «ادعو ربكم تضرعا وخفية» والآيات فى ذلك كثيرة مشهورة. ولا نعلم كيف تأتى هذا الاجماع أو شبهه للإمام النووى، كما أننا لا نستسيغ أن يكون الدعاء مخ العبادة وتكون مزاولته مندوبه لا واجبه مع العلم بأن الأمر الإلهى يحمل الرحمة لبنى البشر، بخلاف الندب، وذلك اذا خيرت انسانا بين فعل خير أو تركه، أو أمرته بفعله دون تخيير ففى الأمر رحمة ورأفة وشفقة بخلاف ما اذا جعلته مخيَّرا، فان هناك فرقا كبيرا بين تخيير الانسان بالخير والأمر به، كما أنه يخرق هذا الإجماع أو شبهه مابيناه فى تفسير الآيات السابقة الآمره بالدعاء، وأن كثيرا من العلماء ذهب الى القول بأن الأمر الإلهى فيها للوجوب. قال فضيلة الدكتور أحمد الكومى: ولعل مراد الإمام النووى فى كون الدعاء مندوبا، الاستدامة عليه، أو الكثرة منه، أما أصل الوجوب فيتحقق بالامتثال وهذا لا يخالف فيه أحدا.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء»، وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نفع حذر من قدر فإن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»، وعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر وإن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1].

---

(١) رواه الترمذى والحاكم فى مستدركه عن سلمان، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير.

ومن جميل الدعوات عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله علِّمنى دعاء أدعو به قال: «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»[1].

ومن جميل الدعاء عند أبى ذر[2] رضى الله عنه: كان يستقبل القبلة فيسبحّ الله مليا، (يقول سبحان الله)، ويهلله مليًا (يقول لا إله إلا الله)، ويحمده مليًا (يقول الحمد لله)، ويكبره مليًا (يقول الله أكبر). يذكر ذلك كثيرًا. ثم يدعو بهذا الدعاء مرتين كل يوم: «اللهم إنى أسألك إيمانًا دائمًا وأسألك قلبًا خاشعًا، وأسألك علمًا نافعًا، وأسألك يقينًا صادقًا، وأسألك دينًا قيمًا، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس»[3].

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما، وابن ماجة فى سننه، وأحمد فى المسند من حديث أبى بكر الصديق (١/ ٤).

(٢) هو الصحابى الجليل، والمسلم الصادق الإسلام واللسان أبو ذر جندب ب جناده الغفارى الذى قال فيه الرسول ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الحضراء أصدق لهجة من أبى ذر» وهو صاحب الحملة المشهورة على أصحاب الأموال وكانزيها، ، فقد كان يعرّض بهم ويحمل عليهم، ويردد فى شأنهم قول الحق: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يُحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون» وقصة إسلامه مشهورة مذكورة فى كتب السُنة والسيرة وقد كان رضى الله عنه زاهدًا متشفا لسنًا، تعرّض فى سبيل دعوته للمتاعب، وضاق به عثمان رضى الله عنه فنقاه إلى الرَبذة وهى قرية من المدينة، فمات بها على قارعة الطريق بلا مستبد أو لبتر، سنة سنتين وثلاثين، ودُفن بها، وكان يقول: لو أن صاحب المنزل يَدَعنا فيه لملأناه أمتعه، ولكنه يريد نقلنا منه (يقصد أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى).. ولذلك كان لا يدخر فى بيته شيئًا رضى الله عنه وأرضاه..!

(٣) أورده السيوطى فى «مسند الجامع الكبير برقم ٢/ ١٠٣، ونسبه للحكيم الترمذى وذكر سنده.

obeikandl.com